

المُطَرِّفَةُ في اليمن بين العلم والسياسة

للدكتور

عبدالغنى محمود عبدالعاطى

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب - جامعة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُطَرِّفَةُ فِي الْيَمَنِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالسِّيَاسَةِ *

دكتور عبد الغنى محمود عبد العاطى

لعبت تضاريس اليمن دورا مؤثرا فى الحياة الفكرية والعقائدية لسكانه. ذلك أن اليمن يتكون من ثلاثة أقاليم متميزة هى السهل الشرقى الذى يمتد من الأحقاف جنوبا إلى حدود نجران شمالا ، وسهل تهامة فى الغرب ، ويمتد من باب المندب جنوبا حتى جيزان شمالا ، والمنطقة الجبلية - التى تتميز باعتدال مناخها وكثرة مواردها البشرية والإقتصادية - التى تتكون من سلسلة من الجبال الحاجزة بين السهلين تمتد من أرض المعافر جنوبا إلى الطائف فى الشمال . ويتراوح ارتفاع هذه الجبال إلى ما بين ألف متر وثلاثة آلاف وستمئة متر (١) .

وفى بلاد جبلية كهذه حيث تمزق الأودية العديدة كل جزء من أجزائها وتحولها إلى كتل جبلية منفصلة عن بعضها ، وحيث تتعدد الشعاب ويعظم عمق الأودية وانحدار جوانبها فإنها تنعزل عن بعضها البعض حتى فى الوادى الواحد فإن الانتقال بين المراكز التى تقوم على امتداده يكون صعبا إن لم يكن مستحيلا (٢) .

* البحث فى المطرفية من الموضوعات التى أحجم عنها المشتغلون بتاريخ اليمن فى العصور الوسطى إما بسبب حساسية الموضوع ، أو لندرة المصادر ، فصار المذهب مجهولا لمعظم المشتغلين بالتاريخ . وقد تمكنت أثناء عملى بجامعة صنعاء ، وبمساعدة بعض الزملاء من تجميع معظم المصادر التى تناولت تاريخ المطرفية وعقائدها . وبالتالي فإن هذا البحث ربما يكون أول بحث أكاديمى متكامل يبحث فى تاريخ هذه الفرقة .

١ - انظر : حسين بن على الويسى ، اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٨ - ٢٦ ، أحمد حسن شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ . ص ١٧ ، عبد الله بن عبد الوهاب الشماخى ، اليمن : الإنسان والحضارة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٧ - ٨ .

٢ - محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ، التحضر فى الوطن العربى ، ح ١ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٦٤٩ ، عبد الغنى محمود عبد العاطى ، عوامل الصراع بين الأيوبيين والإمام عبد الله بن حمزه ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٦ .

وقد تفوق اليمنيون فى استغلال الطبيعة الجبلية وبرعوا فى بناء الحصون والقلاع فى مناطق يصعب الوصول إليها أو النيل منها ، كما قاموا ببناء مدنهم بطريقة تكفل لهم الأمن بداخلها ، وتسهل لهم الدفاع عنها ، خاصة المدن أو التجمعات السكانية التى قامت على قمم الجبال ومنحدراتها . وقد ساعد ذلك على خلق جيوب ومناطق منعزلة آوت إليها بعض الفرق والمذاهب التى تقوَّعت فيها بعيدا عن الأنظار . كما ساعد موقع بلاد اليمن المطرف بعيدا عن عاصمة الخلافة العباسية ، فضلا عن وعورة هذه البلاد ، على ظهور الكثير من الدول المستقلة التى تميز معظمها باستقلالها السياسى والمذهبى عن دولة الخلافة . ولذلك فمن الملفت للنظر انتشار العديد من المذاهب الإسلامية فى اليمن إنتشارا لم يماثلها فيه أى قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى .

وإذا كانت اليمن قد استقبلت العديد من المذاهب الوافدة ومزجت بعضها بطابعها الإقليمى الخاص ، ومنحته السمة والشخصية التمايزيتين فإنها أفرزت بعض المذاهب ذات الطابع المحلى مثل الحُسَيْنِيَّة والمطرفية ، وهما فرقتان انشقتا عن المذهب الزيدى . ومن ثم فقد ولدا فى اليمن وتلاشيا على مسرحها دون أن يفتن أحد فى العالم الإسلامى إلى وجودهما . ولما كانت هاتان الفرقتان تتميزان بالطابع المحلى الخالص فإن مصادرنا عنهما ظلت محصورة داخل المصادر اليمنية ، وهى المصادر التى حرصت على أن تعكس وجهة نظر خصومهما . ذلك أن الفرق الدينية دأبت على التخلص من تراث خصومها وآدابها فى حال الانتصار على هؤلاء الخصوم سياسيا وعسكريا . ولكن شاء حسن الحظ أن الجزء الذى نجا من التدمير من تراث المطرفية كان كفيلا بتوضيح الملامح العامة لهذا المذهب وإن كان قد أثار الكثير من الجدل والخلاف .

وقد تباينت الآراء حول نشأة المذهب المطرفى فقال البعض أن المؤسس الحقيقى لهذا المذهب هو أحد مفكرى الباطنية بناحية الأهنوم (١) . وكان قد تظاهر باعتناق المذهب الزيدى واستطاع بحيله البارعة أن يستغل بساطة العامة فى التأثير عليهم واقتناعهم بآرائه

١ - الأهنوم بطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاذ بن حاشد ، وديارها فى الشمال من حجة فى

نواحي شهارة وظليمة جبور والمدان وعذر .

محمد بن أحمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل الأحمري (١٩٨٤) ، ح ١ ص ٩٥ - ٩٨ ، حسين أحمد السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص ٦٩ .

ومعتقداته . قال أحد دعاة المذهب الزيدى فى وصف الوحدة الفكرية والمذهبية للزيد فى تلك الفترة - أنه لم يكن " من الشيعة فى هذه الديار بعد الهادى عليه السلام إلا الزيدية ، إلا أن بعض الملاحدة أظهر الدخول فى مذهبهم وتشيع وتنسك حتى قدسوه وهو الجاهل منهم ، ثم ترصد لهم " (١) . ويقال أنه رأى يوما حبة شعير نبتت فى جانب مسجدهم داخل الجدار . فسألهم هل يجوز لأحد أن يחדش المسجد ؟ فقالوا : لا يجوز ذلك . قال : ولم ؟ قالوا : لأن هذا قبيح ، لو زاد الخدش لحرب المسجد ، وخرابه قبيح . فتركهم أيا ما ثم سألهم ما تقولون فى هذه الحبة ؟ ألم تחדش جدار المسجد ؟ قالوا : نعم قال : أهذا قبيح أم حسن ؟ قالوا هذا حسن - بناء على ما كانت عليه الزيدية من المذهب الصحيح - قال : ألم تقولوا بالأمس أن خدش المسجد قبيح ؟ وما زال يحاورهم ويناورهم ، وكثرت المناظرات والمناقشات فى هذه القضية حتى أقنع معظمهم بأن خدش الحبة لجدار المسجد قبيح وأن الله تعالى لا يفعل القبيح . ثم وصل بهم إلى النتيجة التى يريدونها ، وهى أن هذا النبات ليس من خلق الله وإنما هو حاصل من المواد والطبائع (٢) .

وهكذا باتت هذه القضية مثارا للجدل والنقاش بين المؤيدين والمخالفين ، وكل فريق منهم يحاول إثبات صحة وجهة نظره وكسب المزيد من المؤيدين خاصة من بين العلماء وأصحاب المكانة فى المجتمع .

ومن هذه البداية استطاع هذا المتكلم المجهول أن يقنع الناس بأرائه وأن يدخل فى زمرة بعض العلماء والمتصوفة الذين اشتهروا بالزهد فى الدنيا والإنقطاع للعبادة ومنهم **مُطَرِّفُ** بن شهاب (٣) . وكان أن كثرت المناظرات بين هؤلاء وبين من أنكر ذلك من الزيدية (فصاروا فرقتين فتعصب أولئك على شبهتهم ، واستندوا إلى زُهادهم ، ولم يجدوا أزهد من مطرف فتبعوه وتسموا بالمطرفية بأنفسهم وبقي المسلمون على بصيرتهم يقولون نحن

(١) عبد الله بن زيد العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام . مخطوط مصور من مكتبة الدكتور / رضوان السيد ، ورقة ٥٧ .

(٢) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٧ .

(٣) كان مطرف بن شهاب العبادى يعمل حراثا ثم كره ذلك العمل واتجه إلى طلب العلم ، فترك بيت حنيس غربى صنعاء واستعان بما معه من أموال على الدراسة فى صنعاء وريدة على شيوخ عصره . يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ، الطبقات فى ذكر فضل العلماء ، نسخة مصورة بمكتبة جامعة صنعاء ، ج ١ ، ورقة ٤١ .

زيدية (١) . ولم يزل مطرف بن شهاب ينشر آراءه ومبادئه بين أتباعه ومريديه إلى أن اكتملت لديهم الصورة الكاملة عن القول بالأصول والإحالة والفطرة والتدبير والطرده والعكس وغير ذلك من الأمور التي صارت تدل على هذا المعتقد الجديد (٢) .

وثمة رواية ثانية تفيد بأن رجلا اسمه على ابن حرب هو المؤسس الحقيقي لهذا المذهب وعنه أخذ مطرف بن شهاب أصول هذا المعتقد (٣) . ويبدو هذا الرأي بعيدا عن الحقيقة لأن على بن حرب كان من أصحاب مطرف بن شهاب (الذين أخذوا عنه العلم والعمل وتخلقوا بأخلاقه الكريمة) (٤) . ويؤكد ذلك قول الإمام أحمد بن سليمان عن سبب ظهور المطرفية (أن رجلا منهم يقال له مطرف بن شهاب وكان قد درس هو وصاحبان له على رجل من الباطنية يقال له حسين بن عامر) (٥) ويؤدي هذا الرأي إلى القول أن حسين بن عامر هذا هو المؤسس الحقيقي للمذهب .

وهناك رأى آخر يقول إن مطرف بن شهاب كان من أتباع الإمام الحسين بن القاسم (٣٩٣ - ٤٠٣ هـ) وأن آراءه ظلت تتبلور حتى غدت مذهباً ومعتقداً جديداً فافترق عنه مطرف (٦) .

أما الإمام عبد الله بن حمزة - وهو أكثر من كتب عن المطرفية وفقههم فيقول عن نشأة المذهب المطرفي

(١) العنسي ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٨ .

(٢) العنسي ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٨ .

(٣) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ، ورقة ٤١ ، الروض ، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم ، ذوب الذهب بحاسن من شاهدت في عصرى من أهل الأدب ، معهد المخطوطات العربية رقم ١٠٥٦ ، ورقة ١٤٠ .

(٤) مسلم اللحجى ، مسلم بن جعفر اللحجى ، أخبار الأئمة من أهل البيت ، ح ٤ ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة صنعاء ، ص ٩١ .

(٥) أحمد بن سليمان بن محمد . . . بن الهادى يحيى بن الحسين ، الحكمة الدرية ص ١٥٠ - ٣٢٩

ضمن مجموع مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ورقة ٩١ .

(٦) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ، ورقة ٤١ .

(وكان أول ناجم فى مذهبهم الخبيث أحدثه شيخ من رء و س ضلالتهم يقال له أبو الغوارى من أهل قاعة (١) فى البون (٢) ، وأن أول من تصدى للرد عليه الشريف العالم زيد بن على الذى كان إماما للهدوية فى المسجد الجامع بصنعاء ورئيسا للشيعة بها (٣) .

على أيتحال فإن الروايات تعددت حول أصل المطرفية ولكنها فى النهاية أجمعت على أن مطرف بن شهاب هو الذى بلور هذه الأفكار الجديدة وطبع المذهب بطابعه وصار أبرز دعائه وعلمائه حتى انتسب إليه أتباعه وأطلقوا على أنفسهم اسم المطرفية. وقد حرص المطرفية على إقناع معاصريهم بأنهم لم يأتوا ببدعة جديدة ولكنهم متمسكون بالتعاليم الصحيحة المنسوبة إلى الإمام الهادى مؤسس الدولة باليمن ، ولذا قالوا بأن مطرف أخذ المذهب عن على بن محفوظ بريدة (٤) . وأن ابن محفوظ أخذ العلم ومذهب الهادى عن طريقين (أحدهما عن أبى الحسين أحمد بن موسى الطبرى عن المرتضى محمد بن الهادى ،

(١) قاعة قرية من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ، على بعد ١٠ كم غربى مدينة عمران . وتقع ما بين .

| | | | |
|----|----|----|---------|
| ١٣ | ٣٩ | ١٥ | شمالا . |
| ١٠ | ٥١ | ٤٣ | شرقا . |

خريطة ج.ع.ى ، ١: ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 ، التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ح ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) البون حقل واسع وينقسم إلى البون الأعلى ومن قراه قاعة والبون الأسفل ومن قراه ريدة . الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ١ ص ١٣٠ .

(٣) عبد الله بن حمزة ، أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية ، ورقة ٢١٠ - ٢٣٤ ضمن المخطوط رقم 3976 Or. بالمتحف البريطانى ، ورقة ٢١١ . أنظر العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٦ حيث يقول : كان إبراهيم بن أبى الغوارى صاحب قاعة من أعلى البون من بلد همدان وهو من بلد عبد الحميد ، نسبه فى بنى مالك من كبار المطرفية وأوائلهم وأحدث لهم بدعا كثيرة وكان قبل ذلك معروفا من الباطنية ولكنه تظاهر بمذهبهم ودس عليهم . وهذا يعنى أنه تظاهر باعتناق مذهب المطرفية ، ولم يكن مؤسسا للمذهب .

(٤) ريدة بفتح الراء وسكون الياء بالبدال المهملة المفتوحة ، قرية وناحية فى قضاء عمران وتقع ما بين

| | | | |
|----|-----|----|---------|
| ٨ | ٤٩ | ١٥ | شمالا . |
| ٣٤ | ١٠٢ | ٤٤ | شرقا . |

خريطة ج.ع.ى ، ١: ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544AI ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح ٢ ص ٤٩٠ - ٤٩٣ ، الهمدانى : الحسن بن أحمد بن يعقوب ، كتاب الاكليل ، ح ٨ ، تحقيق محمد بن على الأكوخ ، دمشق ١٩٧٩ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

والأخرى عن إبراهيم بن بالغ الوزيري عن أبيه عن الهادي (١). كما يذكر أن مسلم عندما سأل شيخه إبراهيم بن علي عما إذا كان قد أخذ الاعتقاد عن علماء سناع ووقش ، أو أنه قد التقى بمطرف أو نهد بن الصباح فإنه غضب من هذه الأسئلة وقال (أخذته من شيعة الهادي : أو مذهب الهادي قد خفي حتى لا يوجد إلا عند أولئك ؟ أخذت عن عامر بن صعتر عن عامرين قميم عن أبيه عن جده عن الهادي إلى الحق) (٢) وهكذا حرص المطرفية على توسيع قاعدة الدعاة ولم يحصروهم في فئة معينة ، وإنما ادعوا بأن المذهب كان يؤخذ عن شيعة الهادي ، كما كانوا يستشهدون على صحة أرائهم في مناظراتهم مع الزيدية بكتب المرتضى لدين الله محمد بن الهادي ، وكتب الامام الهادي خاصة كتاب المسترشد (٣).

ومن العسير أن نحدد بدقة الوقت الذي ظهرت فيه المطرفية كمذهب منشق عن المذهب الزيدي خاصة مع عدم التيقن من الشخصية المؤسسة للمذهب . ولكن بمراجعة النصوص المتعلقة بذلك نجد الإمام عبد الله بن حمزة يقرر أن أول من تصدى للمطرفية من آل البيت هو الشريف زيد بن علي بن الحسين الذي يصفه مسلم اللحجي بأنه كان من متكلمي المخترعة (٤) . ومعروف أنه تم اطلاق اسم المخترعة على الزيدية بعد الخلاف بين علي بن حرب ، وعلي بن شهر ، وهما من معاصري مطرف بن شهاب . كذلك يذكر أحد دعاة الزيدية وعلمائها أن الشريف زيد بن علي بن الحسين رد على مطرف بن شهاب بنفسه (٥) . وهذا يعني أن التطريف لم يصبح مذهباً إلا بجهود مطرف بن شهاب . وإذا رجعنا إلى ما ذكره يحيى بن الحسين بأن ظهور المطرفية كان زمن القاسم العباني (٣٨٩ - ٣٩٣ هـ) . وإلى ما ذكره بأن مطرف بن شهاب كان من أتباع الامام الحسين بن القاسم . فإن معنى

(١) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٢ ، ٤١ .

(٢) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٢ .

(٣) مسلم اللحجي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٣ ، ٤ ، سليمان بن محمد بن أحمد المحلى ، البرهان

الرائق المخلص من ووط المضائق ، مخطوط رقم ٦٧٣ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء ،

ورقة ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٢ ، ٥٤ .

(٤) انظر ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٥٦ .

(٥) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٣٥ . وهذا ينفي ما ذكره نفس المؤلف في

الورقة ١٣٩ بأن حدوث مذهب المطرفية كان بعد الخمسين وأربعمئة للتاريخ المبارك .

ذلك أن مطرف لم يعلن عن آرائه إلا بعد انصرافه عن الإمام الحسين بن القاسم . ومن ثم يمكن القول ، أن إرهابات المذهب ، والمناقشات التي دارت حول معتقداته ظهرت في أيام الإمام القاسم العياني ، ولكن المطرفية كمذهب لم تظهر إلا في أيام الإمام الحسين بن القاسم ، وربما بعد وفاته في سنة ٤٠٣ هـ وهكذا انقسم الزيدية في اليمن مع بداية القرن الخامس الهجري إلى ثلاث فرق هي : المخترعة الذين وافقوا على بن شهر على قوله باختراع الله الأعراض في الأجسام (١) . وهو المعتقد الذي يميل إليه معظم الزيدية في اليمن . والحسينية وهم القائلون بأن الحسين بن القاسم (٢) ، أفضل من رسول الله ، وأن كلامه أبهر من القرآن ، وأنه المهدي المنتظر الذي سيعود ليملا الأرض عدلاً (٣) . أما الفرقة الثالثة فهم المطرفية الذين نحن بصددهم . وقد ساعد على تزايد الشقاق والصراع بين هذه الفرق تعطل الإمامة بعد وفاة الإمام الحسين بن القاسم لأكثر من عشرين عاماً بسبب اعتقاد أتباعه في عودته ، وبالتالي فإن أخاه جعفر بن القاسم لم يفكر في القيام بأمر الإمامة على الرغم من تأييد بعض القبائل له ، واستدعائه لدخول صنعاء ، مع أن

(١) الهادي بن ابراهيم بن علي الوزير ، تاريخ بني الوزير ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ص ١٩٩ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٧ ، الروض ، ذوب الذهب ، ١٤٠ .

(٢) الحسين بن القاسم كان من أجل أهل البيت وأو سعيهم معرفة . بلغ عمره اثنتين وعشرين سنة ، مصنفاته نحو الثمانين ، وقد حدث له اختلاط في عقله ، وصدرت عنه أفعال وأقوال شاهدة بذلك منها دعوى الأفضلية على رسول الله وأن كلامه أبهر من القرآن .

ابن الوزير ، تاريخ بني الوزير ، ص ٢١١ ، حميد بن أحمد المحلى ، الحداثق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط مصور ، صنعاء ١٩٨٢ ، ج ٢ ص ٦٤ .

(٣) أحمد بن سليمان ، حقائق المعرفة ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ص ٢٤٧ ، ٢٧٣ ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٣ ، حميد المحلى ، الحداثق الوردية ، ح ٢ ص ٦٤ ، ابو سعيد نشوان الحميرى ، الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢٠٨ ، ٢١١ ، ابن الوزير ، تاريخ بني الوزير ، ص ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٥٨ ، انظر مفرج الربيعى ، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ورقة ٧٣ ، ٨٦ ، وقد تكونت معالم هذا المذهب في حياة الامام الحسين فقد كتب إلى بعض من أنكر إمامته ومهدبته (فإنه بلغنى أنك تهجونى وتزعم أنى لست المهدي . فأنت أنت ومن معك بكل علم أنزله الله والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وبكل علم أنزله الرحمن فما يكون فى علمى إلا كالمجة فى البحر . . . وما الفرق بينى وبين الأنبياء الأخيار والأئمة الأطهار إلا فرق بين الليل والنهار) .

أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٤ ، حقائق المعرفة ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الظروف كانت مواتييه ومهيأة ، إذ لم يكن هناك أى شكل من أشكال الدولة فى اليمن الأعلى الذى كان مقسما بين (آل يعفر ، وآل الضحاك ، وبنى أبى الفتوح ، وأولاد الإمام القاسم بن على العياني) (١) . وربما كان الاعتقاد فى عودة الإمام الحسين بن القاسم هو السبب فى عدم تأييد الشيعة الحسينية لمن تولى أمر الإمامة بعد ذلك من الزيدية المخترعة ، بل ومناوأة جعفر بن القاسم لكل من الإمام أبو هاشم الحسن (٤٢٦ - ٤٣١ هـ) والإمام أبى الفتوح الديلمى (٤٣٧ - ٤٤٤ هـ) الذى بوفاته تعطلت الإمامة ما يقرب من تسعين سنة ، إلى أن جدها الإمام أحمد بن سليمان .

وإذا كانت الشيعة الحسينية قد نهجت نهجا عسكريا متمثلا فى الجهد الذى قام به جعفر بن القاسم وأبناؤه سواء كان ذلك موجها ضد القبائل المخالفة ، أو ضد الدولة الصليحية ، التى استطاعت بسط سلطانها ونفوذها على معظم البلاد اليمنية (٢) - فإن الشيعة المطرفية واستغلوا غياب السلطة السياسية ما قبل قيام دولة الصليحي فى سنة ٤٣٩ هـ ، ثم التسامح المذهبى والحرية الفكرية التى اتسم بها حكم الصليحيين ، فانصرفوا للدعوة إلى مذهبهم وكان سبيلهم فى ذلك المحاوراة والمناقشة الهادئة ، فلم نسمع عن المطرفية أنهم لجأوا إلى العنف فى سبيل نشر معتقداتهم ، كما أنه لم يبد منهم أنهم قد تطلعوا للسلطة أو إلى تكوين دولة . وقام مطرف بن شهاب فى هذه الفترة مع بعض أصحابه فابتنوا هجرة فى سناع (٣) وبنوا فيها مسجدا ومطاهرا ، وأظهروا العبادة والظاهرة والزهد واستدعوا الناس إلى الدراسة وجعلوا قواعد دينهم وأساسه أن العالم يحيل ويستحيل (٤) وصارت سناع دار إقامة لكثير من فقهاء المطرفية ، فانقطعوا فيها للعبادة والدراسة حتى ذاع صيتها ، وقصدها كثير من العلماء والدارسين . وعقدت بها الكثير من المناظرات بين الزيدية المخترعة والمطرفية يقول مسلم اللحجى

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى فى أخبار القطر البمانى ، تحقيق سعيد عيد الفتاح عاشور ،

القاهرة ١٩٦٨ ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٢) انظر ، مفرج الربعى ، سيرة الأميرين .

(٣) سناع وتكتب سنع ، قرية من عزلة حزة صنعاء ، ناحية بنى مطر .

التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ج ٢ ص ٣٢ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء

، ج ١ ص ٧٧ .

(٤) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣١٩ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ج ١ ورقة ٤٠ .

(: كان الحسين بن زايد من المخترعة وكان يذهب إلى سناع للمناظرة إلى أن انقطع وسلم للمشايخ وانتقل إلى سناع) (١) .

وأحيانا كانت المناظرات تستمر لعدة أيام ، من ذلك أن المناظرات والمناقشات بين مطرف بن شهاب ونهد بن الصباح استمرت أربعين ليلة فى سناع (٢) . وقد ذكر عليان بن إبراهيم قصة دخوله فى المذهب وتحوله للإقامة بسناع فقال (فأتينا سناع وبها المشايخ الذين من الطراز الأول فلم أحتج مع النظر إليهم وإلى ما هم عليه من الديانة ، وإلى حسن ترتيبهم فيها إلى دليل على فضلهم . . . ثم طالبتهم على ما يعلمون ويتعلمون من الاعتقاد بالأدلة فأتوا بما لا مزيد عليه من البرهان ولا شك معه فى البيان فانقطعت إليهم بعد ذلك) (٣) .

وهكذا أخذت هجرة سناع تشتهر كمعهد للتعليم خاصة بعد ترتيب الدروس فيها بصفة منتظمة ، وكان الحسن بن زايد أول من عقد مجالس التدريس ، وتعليم الأصول فيها ولم يكن ذلك فى أوقات النهار فقط ، بل ، أنه أقام خلوة للحديث وتلقين المسائل الأصولية للبحث فيها ليلا والسمر بذكر الله وتعليم توحيدة ليلا ، فكان ذلك مما أضفى على ذلك المكان شهرة بين الناس فذاع صيته بالعلم والعبادة والتعليم وقصده كثيرون من كل جهة . (٤) . ولم يقف دور المطرفية عند هذا الحد بل خرج بعضهم للدعوة إلى مذهبهم فى الأقاليم اليمنية فخرج مطرف بن شهاب ونهد بن الصباح إلى بلاد عنس (٥) حتى وصلا مدينة ذمار (٦) . وكان أهلها مخترعة فنزلا بمسجدها ، واجتمع إليهما الناس .

(١) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٥٢ .

(٢) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ١١ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح١ ورقة ٤٦ .

(٣) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ح٤ ص ٩٩ .

(٤) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٥٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح١ ورقة ٤٩ .

(٥) بلاد عنس ناحية تابعة لمحافظة ذمار .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح٣ ص ٦١٣ ، المقفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٤٧٤ .

(٦) ذمار يفتح أوله وثانيه على بعد مائة كيلو متر جنوب صنعاء . وهى عاصمة محافظة ذمار . وتقع

بين : ٣٣ ١٤ شمالا ، ٢٤ ٤٤ شرقا

YEMEN , 1 : 250000 , Sheet , 5 .

حسين بن على الريسى ، اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٥٤ .

وتصدى مطرف للحوار والنقاش فما انقضى المجلس إلا وقد وافقه الجمهور وغلب على أكثر الناس اعتقاد مذهبه (١). كذلك خرج عليان بن إبراهيم للدعوة فى خولان قضاة (٢).

على أنه يبدو أن التسامح والحرية التى نعم بهما المطرفية إبان حكم على بن محمد الصليحي وابنه المكرم قد حدث ما عكر صفوهما فى فترة تغلب ، سبأ بن أحمد الصليحي على الدولة (٤٨٤ - ٤٩٢ هـ) . ذلك أن بعض خصوم المطرفية قاموا بالدس عليهم والإيقاع بهم ، فاستجاب الداعى سبأ بن أحمد إلى ذلك وعمل على تخريب سناع وتخريف أهلها (٣) . وهكذا اضطر المطرفية إلى ترك سناع فتفرقوا فى شعاب الأرض ويطون الأودية . وخرج إبراهيم بن الهيثم - وهو من رؤسائهم - يجول فى البلاد للبحث عن مكان يصلح لاقامته وزملائه ، فوجد وادى وقش (٤) خاليا من السكان ، فاجتمع بالقبائل المجاورة وشارهم فى النزول بينهم فرحبوا بذلك وعقدوا الجوار (٥) . فانتقل إبراهيم بن الهيثم وإخوانه إلى وادى وقش واقاموا به (هجرة تقام فيها الصلاة ، وتؤدى الفرائض ويعبد الله فلا يعصى ، ويتعلم العلم ، ويحيا فيها الدين حتى قامت بالحجة على أهل العصر مقام الإمام الداعى إلى ربه المشهر سيفه . من تاب من أهل البلاد لجأ إليها وفر

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ١١ - ١٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ١٠ ورقة ٤٦
(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ١٠٢ .

وخولان قضاة هم ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة . وأوطانهم بالجزء الشمالى من تهامة اليمن أنظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكرع ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٩٧ ح ٤ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ١ ص ٣١٣ ، ح ٤ ص ٦٥٣ .

(٣) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٢٥٦ .

(٤) وقش بالتحريك وادى وقرية قرب صنعاء من عزلة بنى قيس ناحية بنى مطر . وهجرة وقش موضع فيه كاخناقاه . الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ١ ص ١٢٢ ، السباعى ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٣٤ ، التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ .

(٥) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٧٧ - ٧٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٤٩ .

كان للمطرفية شروطا معروفة على من يجاورهم وذمم من القبائل التى حولهم من بنى شهاب وبنى مطر وغيرهم على النصرة لهم على من يتغلب عليهم فى دارهم ممن يكرهون جواره .
انظر ، مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٢٥٦ .

بدينه إلى أهلها ، ومن جهل شيئا أتاها للبحث والسؤال عنه (١) . ومن خشى على نفسه من ظالم غاشم هرب إليها للأمن والعز ، ومن أهمة أمر معاده ومعاشه أتى متوكلا على الله . وتسامع الناس بهجرة وقش نحو ما كانت السمعة بسناع فانتهى ذكرها إلى أطراف الآفاق فضريت إليها آباط الإبل وطويت إليها المراحل ونفع الله بها من أراد وجهه من خلقه (٢) .

إنتشار الهجر والحياة فيها :

قام كثير من رؤساء المطرفية بإنشاء هجر جديدة لا تخاذاها . مأوى لهم ومكانا للانقطاع والعبادة والدراسة ، فقام عليان بن سعد بتأسيس هجرة الروعة بالطرف من حضور الأحبوب (٣) ، كما ابتنى ببلاد حمير هجرة ثانية هي هجرة قاعة (٤) . وأسس هجرة ثالثة وهي هجرة جنب (٥) . التى تعرف بمعين (٦) . وهكذا انتشر تأسيس الهجر وربما يرجع السبب فى ذلك إلى اعتقاد المطرفية فى وجوب هجر الظالمين واعتزال الفاسقين . وكانوا يرون أنه يجب على الإنسان ، أن يهرب بنفسه . وولده وحرمة . من مجامع الناس ، وقراهم ومدنهم ، لظهور فساد الناس والمدن والقرى فى دينهم ودنياهم (٧) . وهذا يفسر السبب فى تجمع المطرفية داخل هجرهم التى انتشرت فى أقاليم اليمن فيما يشبه حركة تعمير وتجميع سكانى فى مناطق صعدة وصنعاء وأنس وشمال تهامة .

(١) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٧٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ١ ورقة ٥٠ .

(٢) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٧٨ .

(٣) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ٩٨ ، ٣١٣ .

والأحبوب عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء .

التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ح٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) تقع هجرة قاعة على بعد ٤٥٠٠ مترا جنوب غرب قرية قاعة ما بين

| | | | |
|----|----|----|-------|
| ٣٤ | ٣٨ | ١٥ | شمالا |
| ٥٦ | ٤٨ | ٤٣ | شرقا |

خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة B4 1543

(٥) جنب عزلة من ناحية بنى مطرقضاء صنعاء .

التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح٢ ص ٧٦

(٦) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح٤ ص ١٠٤ .

(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢٣٧ .

أما عن الحياة داخل الهجر ونظام الدراسة وأعداد الدارسين وغير ذلك من الأمور التي أهملتها المصادر التاريخية تماما ، فقد استطعنا أن نتلمس شيئا عن ذلك فيما كتبه مسلم اللحجى وهو من فقهاء المذهب . ذلك أنه اهتم بالترجمة لأعيانه ، وإن كان لم يبق من مؤلفه سوى الجزء الرابع فقط ، إلا أن فيه ما يكفى للتعرف على معالم الحياة داخل الهجر . من ذلك أن أعداد الدارسين ازدادت بدرجة كبيرة فى بعض الهجر حتى بلغ فى هجرة وقش خمسمائة دارس . وكان عليان بن سعد بعد أن استقر بهجرة الروعة قد قام بزيارة وقش فوجد بها خمسمائة من المتعلمين ، فأخذ منهم مائة ورجع بهم إلى الروعة (١) . كما بلغ عدد المقيمين بوقش من الرجال حوالى سبعمائة رجل (٢) . ويعد هذا العدد كبيرا جدا ، وربما يفوق أعداد الرجال فى كثير من المدن اليمنية آنذاك . وقد بلغ المقيمون والمترددون على وقش للصلاة خلف عليان بن سعد بمسجد الشمس عددا لم يجتمع لأحد قبله حتى أن حاتم بن الغشيم الياضى حاكم صنعاء (٤٩٢ - ٥٠٢ هـ) هم بغزو وقش خوفا من إحياء الإمامة ، فقبل له إن الزيدية لا يرون الخروج من غير إمام فاطمى (٣) .

وكانت الحياة داخل الهجر تتصف بالقسوة والتقصف ، وقيام الليل فى التعبد والدراسة وغير ذلك . ويبدو أن هذه الحياة الصعبة لم يكن يتحملها البعض ممن ينشد سعة العيش ولين المتاع خاصة من الأحداث والشباب ، يصف مسلم اللحجى معاناة أحد الشباب الأثرياء بهجرة وقش بقوله : فألمه برد الطهور وأذى السهر مع الجماعة فى خلوة الذكر والتحفظ النجاسة والتناوب بالمسائل والاعتراض بالدلائل ، فأصبح ذات يوم هاربا لا يلوى على شئ حتى لحق بدار أهله (٤) . وكانت الحياة العلمية داخل الهجر نشطة ومزدهرة ، ويمكن التعرف على ثلاثة أوجه لهذا النشاط ، الأول هو عقد حلقات التدريس التقليدية حيث يجلس المدرس وحوله طلابه وغالبا كانت لهذه الدروس اوقاتا محددة سواء كان ذلك بالليل أو النهار (٥) .

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ١٠٥ .

(٢) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٤٥ .

(٣) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٧٩ .

(٥) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٥٢ .

وتصدى علماء المطرفية من ذوى المكانة للتدريس فى هذا الحلقات أمثال الشيخ على بن أبى رزين الذى كان يدرس مقالة إقليدس فى هجرة وقش ، ولم يكن يعرفها فى اليمن غيره (١) . والوجه الثانى أن يجتمع مشايخ المطرفية وعلمائهم على شكل ندوة علمية فيحددون موضوعا معيناً للنقاش ، ويظل الحوار والنقاش قائماً إلى أن يصلوا إلى الرأى الذى يرضى عنه الجميع . يقول أحد علماء المطرفية (إن المسألة بيننا تكون كالغرض المنصوب بين الرماة يرمونها ، فلا يزال يرميها كل من حيث هو إن كانت لنا أو علينا ، يثبت ما يثبت ويسقط ما يسقط ، فنعمل بما صح وثبت ونترك ما فسد وسقط (٢) . أما الوجه الثالث فكانت المناظرات التى تعقد بين المطرفية وبين مخالفينهم فى المذهب من المخترعة وغيرهم خاصة فى هجرة سناع ومن بعدها وقش وقاعة (٣) .

وإذا كانت المناظرات بين المخترعة والمطرفية قد اتخذت الطابع العلمى البحت ، بحيث كان كل فريق يحاول إثبات صحة مذهبه ، والتدليل على خطأ المذهب الآخر ، فإن مناقشات المطرفية مع الحسينية اتخذت طابعاً مخالفاً إذ عمد المطرفية إلى السخرية من الحسينية والتندر بمعتقداتهم بعودة الإمام الحسين بن القاسم . وقد سجل مسلم اللججى الكثير من هذه القصص والنوادر للتشهير بهم والتهكم عليهم وعلى معتقداتهم (٤) .

أما مصادر التمويل التى كان يصرف منها على شئون الهجر واحتياجات المقيمين فلم نجد أية إشارات عن ذلك ، وربما كان التمويل يأتى من الزكاة المتحصلة عن أموال وممتلكات أهل المذهب هذا بالإضافة إلى مساهمات بعض المطرفية فى الانفاق على إخوانهم المقيمين فى الهجر . يصف أحد المتعلمين الحياة داخل إحدى الهجر فيقول : كنا بالروعة

(١) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ١٠٥ .

(٣) من أطراف المحاورات التى دارت بين المطرفية والمخترعة تلك التى دارت بقرية شبام بين أحد غلاة المخترعة وكان به جرب قد أضربه فأتى أحد الأطباء من المطرفية فشكا عليه داءه وسأله دواء لذلك وكان الطبيب يعرف اعتقاده فى الإختراع ، فقال ان كان الدواء ينفعك وهبت لك شربة لذلك وان كان لا ينفعك لم أهبك ولم أهب لك . فقال تفضل ببنى بثمان أدفعه إليك . قال لا أبيعك بل أهب لك إن كانت الأدوية تنفعك . فلما رأى أنه لا يبيعه حتى يعترف بأنه ينفع بالجسم وأنه يحيل ويستحيل فيترك مذهبه . انصرف وترك الطبيب .

مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٥١ .

(٤) مسلم اللججى ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٣٩ - ٤٢ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ٢٦٠ - ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ - ٣٥٣ .

عند عليان وجماعة من المتعلمين غير قليلة ، كل طائفة لهم من يصنع زادهم على الانفراد . وكانت له بقرة فيجمع لبنها من الجمعة إلى الجمعة ، ثم يأتي فتجتمع عليه تلك الطوائف فيأكلون به . ثم يقسم بينهم دهنه فيدهنون به ، ويأتيهم بالكحل فيكتحلون ، ثم يأتيهم بالجلم فيقصرون به أظفارهم وشعورهم ، وينظفون ما يمكنهم التنظف منه (١) . أما على بن حرب وهو من زعماء المذهب ، فكان يجتمع إليه في الخريف جماعة من المطرفية فإذا كان يوم الجمعة أمر لهم بكبش وطعام ويدعوهم إليه ، وكان ذلك دأبه حتى تنقضى أيام الخريف . (٢) . وكان أحد المزينين عند اجتماع الزيدية بمدر (٣) في الخريف يأخذهم في يوم الجمعة إلى عنبه فيأكلون يومهم ويزينهم ويحلق رؤوسهم ، وينفعهم من صناعته بما يحسن ويصلح من شأنهم ما يمكنه (٤) . كذلك كان بعض الناس يتطوعون للعمل بالهجر فيتفقدون الضيف والغريب وذوى الحاجة والظرفى أمر المتعلمين والنظر في صلاح مساجدها ومظاهرها ومجالسها (٥) . ويبدو أن البعض لم تكن إقامتهم دائمة بالهجر ، بل كانوا يترددون عليها للإقامة وطلب العلم فترة ثم يعودون لمباشرة شئون حياتهم والتكسب بما يعينهم على معاودة طلب العلم والإقامة بالهجر (٦) .

تعاليم المطرفية وفقههم :

وهكذا صارت هجر المطرفية في اليمن تؤدي العديد من الوظائف فهي أماكن للعبادة والتعليم وإقامة المطرفية ومأوى للضيف وعابر السبيل . وشهدت هذه الهجر نشاطا علميا كبيرا تركز بطبيعة الحال على العلوم اللغوية والدينية وخاصة تعاليم وفقه مذهبهم . فكانوا يدرسون أصول مذهبهم بأن للعالم أصولا هي الماء والهواء والرياح والنار ، وهي

(١) مسلم اللحي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ١٠٧ .

(٢) مسلم اللحي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣) مدر قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب على بعد ١١ كم شرقى ناعط وتقع ما بين :

| | | | |
|----|----|----|---------|
| ١٣ | ٤٦ | ١٥ | شمالا . |
| ٥٣ | ١٣ | ٤٤ | شرقا . |

خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 ، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء

، ح ٢ ص ١٨٥ ، السياغي ، معالم الآثار ، ص ٥٨ .

(٤) مسلم اللحي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٢٥٤ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٤٨ .

(٥) مسلم اللحي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٢٥٤ .

(٦) مسلم اللحي ، أخبار الأئمة ، ح ٤ ص ٨٠ .

أصل ما خلق الله . والعالم على كماله محدث مخلوق ، والله تعالى خالقه سواء خلق ما خلق من ذلك جملة أو تدريجا . فالذى حصل على معنى التدريج كالحیوان من الماء المهيّن ، والأشجار من الماء والطين ، والمطر من السحاب . وكثير منه يزيد بعد النقصان كالإنسان وغير الإنسان من جماد وحيوان وهذا يبين أن من الأشياء فرعا ومنها أصلا . (١) ويستشهدون بآيات القرآن الكريم التى تدل على أن الله تعالى قد خلق الأحياء من الماء (٢) وأنه قد خلق السماوات من الدخان (٣) ، والدخان لا يكون إلا من حراقة . وأنه خلق الناس من تراب (٤) . وأن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء طبائع مختلفة متضادة غير مؤلفة فجعلها أصولا لكل ما درأه وبرأه (٥) . وأن الله خلق العالم يحيل ويستحيل (٦) . ومعنى ذلك يؤثر وينفع إذا استعمله الإنسان على ما علم الله

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٣ .

(٢) أنظر سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .

(٣) أنظر سورة فصلت ، آية ١١ .

(٤) أنظر سورة الحج ، آية ٥ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٤ .

كذلك يستشهد المؤلف بآراء الإمام القاسم الذى يقول (. . . ولا بد لهذا الخلق من رؤوس أولية مبتدعة من الله تعالى . . . ولا ينبغى لهذه الرؤوس أن يكون بعضها من بعض بل تكون متضادة تضاد النار والأرض) .

وكذلك قول الإمام الهادى (لو أنكم انصفتم عقولكم وتركتم المكابرة عنكم ثم رددتم متشابه الأمور إلى محكمها وما شذ من فرعها إلى أصلها ، ثم نظرتم إلى النطفية مم هى ومما كانت حتى تنتهوا إلى ما منه ابتدأت ، لوجدتم أصل ذلك إن شاء الله من الطين ، وأصل الطين من الماء بأيقن اليقين . وكذلك فاصل خلق الشياطين من مارج من نار . وإذا رجعتم إلى الأصول الثلاثة المفطورة المبتدعة من الريح الجارية المسخرة ، وما خلق سبحانه من الماء ، وفطر فوقه من يحجب الهواء . ثم خلق من هذه الثلاثة الأشياء جميع ما درأ وبرأ) .

وقال الإمام الهادى فى موضع آخر (فلما أن خلق الله تبارك وتعالى الماء والهواء والرياح أوحى إلى الرياح بأن تصفق وتهيج عوارب الماء وأمواجه . فهيجت أمواجه وزعزت ساكنه فارتعدت عواربه وتراكم زيده وعظم أمره . ثم أوحى إلى النار فاحرقت ذلك الزيد ، فثار منه دخان فصعد فى الهواء ، وبقيت حراقة الزيد على ظهر الماء فخلق تبارك وتعالى الأرض من تلك الحراقة ، حراقة الزيد وخلق السماوات من ذلك الدخان .

انظر : سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٤ .

(٦) استحالة الجسم أى تغيير وخرج من حال إلى حال .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٩ .

سبحانه ، ومضرا إذا خالف تعاليم الله . كل ذلك جبرا لا اختيارا فما حصل منه من تأثير فى الوجهين جميعا فهو فعل الله لا فاعل له غيره ولا موجد له سواء (١) .

ولهذا فإن الأشياء نافعة على معنى وضارة على معنى حسب التناول ومحيلة ومستحيلة ومسخرة تجري فى مصالح بنى آدم فإذا نفعت أو ضرت تكون قد جرت بفطرتها وتركيبها أى بما جعلها الله عليه من الخلقة (٢) . والتركيب معناه اخراج الفرع من الأصل ، والفطر خلق الأصل واخراج الفرع منه (٣) . ويستدلون على صحة ذلك بآيات القرآن التى تتحدث عن الفطرة (٤) والتركيب (٥) . وينسب إلى مسلم اللحجى أنه قال : من قال أن الله قصد شيئا من أفعاله غير الأصول الثلاثة والمعجزات والنقم فقد كفر (٦) . ومن ثم فإن خصومهم يتهمونهم بأنهم قد نفوا جميع الحوادث عن الله تعالى وأضافوها إلى الاحالة والاستحالة (٧) .

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .

واستحالة الأجسام على ضروب مختلفة منها ما تكون استحالته بانتقاص بنيته وتركيبه وخروجه من جنسه وطبعه كالنطفة إذا صارت علقة ، والحبة إذا صارت بقلّة . ومنها ما يستحيل بأن يزيد وينمو أو يخرج من جميع أحواله إلى أحوال متجانسة . ومنها ما يستحيل من غير زيادة ولا نقصان وكل ذلك إنما هو تدبير الله وبما جعل من تأثير بعض الأجسام فى بعض . وكل ما حدث فهو فعل الله ، وصنعه وخلقه ، وإرادته ، ومراده ، سواء كان مصلحا أو مفسدا بسبب أو بغير سبب من برد وجراد وضرب وزيادة فى الخلق وغير ذلك .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٧٥ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .

(٤) انظر ، سورة الأنعام ، آية ١٤ ، سورة هود ، آية ٥١ ، سورة إبراهيم آية ١٠ ، سورة الاسراء ، آية ١٧ .

(٥) سورة الانفطار ، آية ٨ .

(٦) عبد الله بن زيد العنسى ، عقائد أهل البيت والرد على المطرفية ، مخطوط رقم ١٠٩٢ (برلين) ورقة ١٦ .

(٧) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣١٩ ، عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية بالأدلة البادية

فى بيان أحكام أهل الردة ، ورقة ١٤٥ - ١٦٨ ، ضمن المخطوط رقم 3976 . or بالمتحف ،

البريطانى ، ورقة ١٦٦ ، العقيدة البنوية ، ورقة ٢ - ١١ ، ١٥١ - ١٥٦ ضمن المخطوط

رقم 3828 or بالمتحف البريطانى ورقة ٨ .

وقد أدرك المطرفية المحاذير التى تنتج عن الخوض فى بعض مسائل القرآن ، ومع ذلك كانت لهم آراؤهم الخاصة ، فهم يقرّون بأن القرآن كلام الله لأن الرسول كان يدين به ويخبر به وهو عليه الصلاة والسلام لا يدين إلا بالحق ولا يخبر إلا بالصدق ، وأن القرآن معجز عجز الخلق عن الإتيان بمثله (١) . وأنه محدث مخلوق (٢) . وأن الله سبحانه خلقه فى قلب الملك الأعلى استنادا إلى قول الرسول بأنه سأل جبريل كيف يأخذ هذا الوحي . فقال من ملك فوقى . قال : وكيف يأخذه هذا الملك قال : يلقيه الله فى قلبه إلقاء ويلهمه إياه إلهاما كالهام النحلة . فأفاد الخبر أن محله قلب الملك وأنه مخلوق عليه أى أنه عالم به وبغيره مما علمه الله إياه - أشبه بالهام النحلة ، وإلهامها خلقها عارفة بمصالحها . (٣) .

ولما كان المطرفية يعتقدون بأن الأعراض تسمع سماع العلم ، ولا تسمع سماع الحس لأن الحواس لا تقع إلا على الأجسام (٤) . فإن نزول القرآن يكون بمعنى بلغ ووصل لا بمعنى انحدر وانفصل ، وأن القرآن الذى نسمعه فإننا نسمعه بهذا المعنى أى بمعنى العلم وليس بمعنى النزول والانتقال (٥) . ولهذا تم توجيه الاتهام إلى المطرفية بأنهم يقولون بأن الله تعالى لم ينزل على البشر كتابا من السماء ، وأن كتب الله صفة ضرورة لقلب الملك الأعلى لا تفارقه فيحجّدون كتب الله تعالى وآياته (٦) . ويجيب المطرفية على ذلك بأن العرض لا يفارق شبحه ضروريا كان أو غيره لأن مفارقتها لا تعقل إلا بمعنى الانتقال والتولد (٧) . ومن الآراء التى ينسبها الزيدية المخترعة إلى مطرف بن شهاب أنه سئل

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٥ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨١ - ١٨٣ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٠٢ - ١٠٤ .

جاء فى حديث الإمام الهادى عن الأعراض قوله : إنما هى صفات ودلالات وحركات وعلامات تتفرع من الأجسام غير متلاحقات ، فهى أشياء وليست بأجسام .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٨٢ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ - ١٨٤ .

(٦) جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٣ - ٧٤ ، ضمن المخطوط رقم ٢١٥٣ بدار الكتب المصرية ، ورقة ٧١ ب ، ٧٢ ب ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ٥ ، الرسالة الهادية ، ورقة ٥٢ .

(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ .

يوما عن القرآن فقال : ما إلينا نزل ولا بنا اتصل ولكنه تلاشى وبطل (١) . كما يتهم المطرفية أيضا بانهم ردوا اربعمائة وسبعا وثلاثين آية لا يحتمل أى منها التأويل لو أنهم ردوا آية واحدة لكفروا بإجماع الأمة (٢) . وقالت المطرفية نحن نبرأ إلى الله من إنكار آية أو بعض آية أو إنكار شئ مما نزل على محمد أو جاء به من كتاب وسنة . فقال الزيدية إن ذلك لازم لكم أليس الله يقول (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) (٣) . وأنتم تقولون ذلك بالانفعال من الطبائع الأربع فقد أنكرتم هذه الآية ، وعلى هذا النحو من الإلزام فى سائر الآيات (٤) .

وفى مسألة النبوة رأى المطرفية أن النبوة هى علو الشئ وارتفاعه على الخلق فى أعلى درج المتقين التى يستحق بها ذلك المقام وتَبَوُّ النبي هو زيادته وعلوه وهو فعله (٥) . وتسميته نبي مشتقة من النبوة وقيل اشتقت من الإنباء عن الله ، والإنباء فعل النبي (٦) . يروون عن النبي عليه السلام قوله : التودد والاقتصاد والصمت والتثبيت جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، وجزء الشئ بعضه وذلك دليل على أنها فعل النبي (٧) . يقول الامام عبد الله بن حمزه أنهم ناظروه مرارا على ذلك (٨) . ويوجه الاتهام إلى المطرفية بأنهم جعلوا جميع المكلفين يشتركون فى النبوة ، وإنما تأخروا عن إدراكها لتركهم ما وجب عليهم ولتقصيرهم فيما أمروا (٩) .

(١) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٢ .

(٢) عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٣ ، العنسى ، التمييز بين المطرفية والاسلام ، ورقة ٢٦

(٣) سورة الشورى ، آية ٤٩ - ٥٠ .

(٤) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ١٩٨ ، حميدان بن يحيى بن حميدان ، تعريف التطريف ،

ورقة ٨٣ - ٩٢ ضمن مجموع رسائل السيد حميدان . نسخة مصورة بمكتبة الدكتور رضوان السيد

، ورقة ٨٥ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

(٧) يستشهدون على ذلك بقول الله لنبيه فى سورة فصلت آية ٦ (إنا أنا بشر مثلكم) وقال النبي :

لم أكن نبيا فنبيت ، ولا عالما فعلمت ، فلا تقولى فى فوق طولى . إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى نبيا .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

(٨) عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٢ .

(٩) عبد الله بن حمزة ، الدرة اليتيمة فى تبين أحكام السبا والغنيمة ، ورقة ١٦٩ - ٢٠٩ ضمن

المخطوط رقم Or. 3976 بالمتحف البريطانى ، ورقة ١٨١ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٧ .

أى أنها تحصل للعبد باختياره فإن شاء جعل نفسه نبيا وإن لم يشأ ذلك لم يكن نبيا (١) .

ويؤكد المطرفية أن الله تعالى واحد ، ثم يتحدثون فى أسماء الله ويقسموها إلى قسمين : الأول ما سُمى به لأجل ذاته نحو عالم وقادر وحى وقديم . والثانى ما سُمى به لأجل فعله كالمخالق البارئ المصور المحيى المميت الباعث الرزاق . وبعد مناقشة المطرفية لآراء أصحاب المذاهب الأخرى يقولون بأنه قد تحققت له سبحانه هذه الصفات من علم وقدرة وحياة وقدم وغير ذلك . وهذه الصفات المختلفة مرجعها إلى ذات واحدة ، ويقولون علمه قدرته وهما ذاته وقالوا بذلك لأن نفى هذه الصفات يوهم عليه أضدادها (٢) . وقد اتهم المطرفية بسبب قولهم أن أسماء الله هى ذات الله بأنهم جعلوه أكثر من واحد فأبطلوا بذلك التوحيد (٣) .

ويعتقد المطرفية أن أفعال العباد كلها حسننها وقبيحها فعلهم لا فعل الله سبحانه . لم يشاركهم فيها مشارك ولم يخلقها فيهم ولا جبرهم عليها ، وإنما أقدرهم على فعلها ، وممكنهم من إحداثها وعرفهم خيرها وشرها (٤) . وأن أفعال العباد لو كانت خلقا لله تعالى لما جاز أن يأمر ببعضها وينهى عن بعضها ، لأن أمر الانسان بما لا يقدر عليه ونهيها عما يعجز عن الامتناع عنه قبيح وهو تعالى لا يفعل القبيح (٥) . ويبرهنون على أن أفعال العباد من خلقهم بقوله تعالى " فتبارك الله أحسن الخالقين " (٦) . وهذا يعنى أن العباد خالقون لأفعالهم . ويقولون بأن أفعال العبيد قائمة بهم لا تتعدهم ولا توجد فى غيرهم لا

(١) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٩ أ ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، الدرة البتيمة ، ورقة ١٩٥ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ١٠٧ - ١٠٨ ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٧ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٥٦ - ٥٧ .

(٣) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٣ أ ، أحمد بن سليمان ، الهاشمة لأنف الضلال من المطرفية الجهال ، ورقة ١٥١ - ١٥٥ ضمن كتاب العقيدة النبوية بالمخطوط 3828 Or. بالمتحف البريطانى ، ورقة ١٥٢ ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ١١٠٧ ، الدرة البتيمة ، ورقة ١٩٥ ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٢ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٧٢ - ٧٤ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٣٦ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٣٧ .

(٦) سورة المؤمنون ، آية ١٤ .

على سبيل الانتقال ولا على سبيل التولد (١) . وأن فعل العبد هو ما يكون صادرا من جوارحه من غير واسطة على حسب اختياره مثل حركات الأيدي والأقدام وتصريف السيف والقلم (٢) . أما ما يحدث من استحالة مفعولاته فهو فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره بأصل فطرة الجسم وتركيبه وتثبيته له يحيل ويستحيل (٣) ، ولتبسيط ذلك وتوضيحه قالوا بأن هناك فرقا بين الفعل والانفعال ، فالفعل هو الصادر من جوارح الإنسان ، والانفعال هو استحالة مفعولاته كالإنتقال والانقطاع ، وكانحباس الماء وانفلاق البحر وغير ذلك ، وهى التى سماها أهل اللغة أفعال المطاوعة (٤) . ومن ثم فإن الإنسان نهى عن قتل غيره ولم ينه عن انتقاله (٥) . ففعل الضارب هو الضرب وعليه وقع الأمر والنهى والمدح والذم ، والانفعال هو استحالة المضروب بسبب الضارب ولم يقع عليه أمر ولا نهى ولا مدح ولا ذم (٦) .

وتقول المطرفية ان الله سبحانه وتعالى لا يعذب من لا ذنب له ، ولا يريد الظلم ، ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد ، لأنه تعالى عدل لا يفعل شيئا من القبائح ، كما أنه تعالى لا يعذب الأطفال بذنوب الآباء (٧) . ولكنهم عندما يتحدثون فى الأعواض يقولون

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٨٩ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩١ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٢ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٣ .

والمطاوعة هى الموافقة ، والنحويون ربما سمو الفعل اللازم مطاوعا .

ابن منظور ، لسان العزب ، مادة : طوج .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٣ .

(٦) يدللون على أن الفعل غير الانفعال بقوله سبحانه فى سورة التوبة آية ٤٦ " ولكن كره الله

اتبعاثهم " ولا شك أن اتباعهم غير بعثهم لأن بعثهم فعل النبى والله لا يكره فعل نبيه واتبعاثهم فعلهم والله قد كرهه .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٤ ، انظر ، أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى ،

الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ١٩٨٧ ، ح ٨ ، ص ١٥٦ .

وقال تعالى فى سورة الشعراء آية ٦٣ " فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان

كل فرق كالطود العظيم " ففرق البحر هو ضرب موسى وانفلاقه فعل الله سبحانه وهو المعجز فمن

قال أن الفعل هو الانفعال أنكر معجزات الأنبياء .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٤ .

(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٥١ - ١٥٢ .

إنه لن ينال ما عند الله إلا بطاعته ، أو بالتفضل ، ولا يتفاضل أهل التكليف عند الله سبحانه إلا على حسب تفاضلهم فى الأعمال . وأن كل ما استحقه الانسان من ثواب أو عقاب لا يكون إلا بالعمل (١) . وهذا ينفى وجوب الأعواض عما يصيب المؤمنين من الأمراض والآفات وسائر المضار (٢) . ولذلك أقرروا الحكم برق أولاد الممالك (٣) . ومن ثم فقد وجه خصومهم الاتهام إليهم بنفيهم للعرض على ما أصاب المؤمنين وتجوزهم أن يأخذ الله سبحانه الولد يذنب والده كما يقولون فى ضرب الله الرق على أولاد المشركين فإنه عندهم عقوبة بذنوب آبائهم ولا عوض للأولاد على ذلك . وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله تعالى عنه علوا كبيرا (٤) .

ويحاول المظرفية تبرير موقفهم بالقول : إن كثيرا من أحكام الشرع لا تعلق ، بل سبيل ذلك التسليم لأمر الله تعالى فيه كملك أولاد الممالك بعد آبائهم وبعد أن أسلموا فى حال الملك . لأن ملك أولاد الممالك فإنما سبب ذلك شرك آبائهم (٥) . وإذا كان الإجماع قد وقع على أن الله لا يظلم ولا يأمر بالظلم فهذا صحيح . وأما القول بأن الله لا يعذب أحدا ولا يضره بذنوب سواه فذلك خاص فى أحكام الآخرة وبعض أحكام الدنيا لأن إجماع المسلمين منعقد على أن أولاد المشركين إنما ملكوا لشرك آبائهم، وأن كثيرا من الأحكام تجرى عليهم بسبب آبائهم (٦) .

أما الأمراض والأسقام فيقولون بأنها فعل الله تعالى وخلقه غير أنها على وجهين : منها ما تولى الله سبحانه فعله من غير جناية من أحد ، وذلك ما يكون من ألم الشيخ وضعفه وضعف الطفولية وما يحصل من ألم الحمل والحيض وغير ذلك . فهذه أمراض من الله سبحانه . والوجه الثانى ما يحصل بجناية الانسان على نفسه أو جناية غيره عليه فذلك أيضا فعل الله سبحانه ، سواء كان مرضا أو غيره من فنون العاهات وإن كان حصل بسبب وجناية من العبد أو من غيره . وليس حصوله بجناية من المخلوقين يخرج من أن

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٦ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٨ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٣ .

(٤) أحمد بن سليمان ، الهاشمية ، ورقة ١٥٣ - ١٥٤ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٤ .

(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٤ .

يكون فعلا لله سبحانه (١) . ومع ذلك يوجه الاتهام إلى المطرفية بانهم قد نفوا عن الله ما هو فعله نحو مرض الأجساد ، وأضافوا إليه تعالى ما هو فعل للعباد نحو الجراحات التي تحصل في الخلق عند ضرب السيوف وطعن الرماح (٢) .

ويرى المطرفية أن الله ساوى بين عباده في ستة : في الخلق والرزق والموت والحياة والتعبد والمجازاة (٣) . وخالف بينهم في ثلاثة : في الصور والألوان واللغات . أما الخلق فساوى بينهم في ثمانية وجوه : فيما منه خلقهم وفيما عليه ركبهم وفي ترتيب خلقهم وفيما له فطرهم وفي الوضع والدرك والتثنية والافراد (٤) .

أما الأرزاق فقالوا إن الله قد أورد لها في كتابه على ثلاثة أضرب . الأول ذكر فيه المساواة ، وأخبر أنه يرزق جميع عباده الكفار والمسلمين وجميع المخلوقين ، وأن القول بأنه أعطى قوما ومنع آخرين هو قول الكافرين (٥) . والضرب الثاني ذكر فيه التفضيل في الأرزاق (٦) .

(١) سليمان المحلي ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦١ .

(٢) جعفر بن عبد السلام ، رسالة في الرد على المطرفية ، ورقة ٦٤ ب ، ٦٥ أ ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٠ ، الهاشمية ، ورقة ١٥٢ ، عبد الله بن حمزة ، الدرر اليتيمة ، ورقة ١٩٤ ، العقيدة النبوية ، ورقة ٤ ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٤ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٧ ، ٨ .

(٣) يرى خصومهم أن الله لا يجب عليه أن يساوى بين عباده في الخلق ولا في الرزق ولا في الحياة ولا في الموت ولا في التعبد ولا في الرزق ولا في الحياة ولا في الموت ولا في التعبد ولا في الجزاء ولا ذلك من اللوازم للعلی الأعلى ، وذلك لأن الله تعالى متفضل عليهم بابتداء الخلق وإنشائه وللمتفضل أن يفعل وأن لا يفعل .

أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٠ ، جعفر بن عبد السلام ، مقالة في الرد على المطرفية ، ورقة ٦٩ أ ، العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٨٩ ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٥ .

(٤) سليمان المحلي ، البرهان الرائق ، ورقة ١١٨ - ١١٩ .

(٥) سليمان المحلي ، البرهان الرائق ، ورقة ١١٩ - ١٢٠ .

انظر ، سورة البقرة ، آية ٢٦٨ ، سورة المائدة آية ٦٤ ، سورة هود ، آية ٦ ، سورة الإسراء ، آية ٢٠ ، سورة الروم ، آية ٤٠ ، سورة يس ، آية ٤٧ ، سورة فصلت ، آية ٩ .

(٦) انظر سورة البقرة ، آية ٢١٢ ، سورة الرعد ، آية ٢٦ ، سورة النحل ، آية ٧١ ، سورة الزخرف ، آية ٣٢ .

والضرب الثالث وهو أن الله تعالى يقلل الرزق بالمعصية ويكثره بالطاعة (١). ويرون أيضا أن بعض الرزق يحصل بالاكْتِسَاب وذلك لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض " (٢). فمن يمكنه الكسب وتركه كان فقره من نفسه لا من ربه (٣). وقد تقلل الأزواق بأسباب من العباد بسبب ترك العناية بزروعهم وأراضيهم (٤). كما يقولون بأن الحرام ليس رزقا لمن صار في يده أو أكله ، وأن المال المغصوب لا يصح أن يكون رزقا لأن من مات دون ماله فهو شهيد (٥).

وقد نسب إليهم خصومهم القول بأن الأزواق ليست من الله ولكنها تحصل بالاكْتِسَاب والضرب في الأرض والتحليل وسائر الأسباب ونفوها عن الله ، وبأن الله سبحانه لا يرزق العصاة (٦).

أما مساوئته في الموت فهو جعله غاية كل حي (٧). والأعمار تختلف باختلاف البنية والأوطان والأزمان ، والناس نبات الأرض (٨). فمن صحت بنيته ، واعتدلت مادته ، وبرئت من معاصيه ساحته ، طالت مدته ، واستوفى عمره ، مالم يظلمه غيره بقتل يقطع به أجله . وقد يقصر بأسباب منها فساد الأغذية ، وقلة اعتدال امتزاج البنية ، واجتلاب المضار على النفس جهلا أو عمدا وعلى الغير ، وسكنى البلاد الوبيثة ، وتناول الأشياء الضارة ، وشرب السمومات القاتلة ، والبغى على الناس بالقتل ، والنقمة من الله أيضا تقطع الأجل (٩).

(١) انظر ، سورة الأعراف ، آية ٩٦ ، سورة هود ، آية ٥٢ ، سورة إبراهيم ، آية ٧ ، سورة الطلاق ، آية ٣ ، سورة نوح ، آية ١٠ - ١١ .

سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٧ ، انظر أيضا الآيات الدالة على اكتساب الرزق ، سورة الجمعة ، آية ١٠ ، سورة المزمل ، آية ٢٠ ، سورة البقرة ، آية ١٩٨ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢١ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢١ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٢ - ١٢٣ .

(٦) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٢ ، حميدان بن يحيى ، تعريف التطريف ، ورقة ٨٦ - ٨٧ .

(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ .

(٨) انظر سورة نوح ، آية ١٧ .

(٩) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ - ١٢٤ .

فالأجال ثلاثة : أجل ضربه الله لعباده وهو ما تحمله بنيتهم إذا سلموا من العوارض (١) . وأجل النعمة (٢) . وهو أجل سبب تعجيله المعاصى ، ولو لم تحصل المعصية ما عجل به (٣) . وأجل مخترم ، وهو الذى يقطع بسبب من العبيد ، إما عمدا وإما خطأ وأن المقتول لو لم يقتل لبقى (٤) . أما الأطفال إذا ماتوا قبل البلوغ فإنهم يموتون بجناية الغير عليهم ، وهو تعالى مميتهم وفاعل موتهم . ومن أنكر أن يكون الموت فعلا لله سبحانه كمن أنكر خلق السماء والأرض ، وذلك العبد الجانى عليهم يسمى أيضا مميتا حقيقة بالجناية الواقعة منه (٥) . والعمر ليس له حد معلوم من كثير ولا قليل وإن اختلف بعض الأئمة فى تحديده ، فقال بعضهم مائة وعشرين سنة ، وقال بعضهم مائة وخمسين . وما ينسب إلى الرسول قوله : أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين . وينسب إليه أيضا قوله : لا خير لأمتى فى عمر زاد على عمرى ، وكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين سنة . وعلى ذلك إجماع أهل التاريخ فى طول العمر وقصره (٦) . ومع ذلك فإن الزيدية تنسب إلى المطرفية القول بأن الأعمار والآجال والموت والحياة تقع بحسب الطبائع والمواد . وأن موت الطفل ليس من رب العباد وأن ما نقص عمره عن مائة وعشرين سنة فإنه ليس من فعل الله تعالى ولا إرادته ، كما نسبوا إليهم القول بأن الانسان يقدر على تأخير عمره إلى مائة وعشرين باصلاح معيشتة وغذائه ومعرفة دائه من دوائه (٧) . والمطرفية لا تعترف بعذاب القبر لأنهم يعتقدون أن من مات " فإنه لا يحيى إلى يوم القيامة " (٨) . كما أنهم ينفون بعث البهائم (٩) .

-
- (١) أنظر : سورة الأنعام ، آية ١٢٨ ، سورة هود ، آية ٣ ، سورة ابراهيم ، آية ١٠ .
 (٢) انظر : سورة يونس ، آية ٤٩ ، سورة نوح ، آية ٤ .
 (٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٤ .
 (٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ .
 (٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٥ .
 (٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ .
 (٧) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٩ - ١٠ ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٤٦ - ٤٧ .
 (٨) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢٢٨ .
 (٩) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٨ - ١٦٩ ، جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الردع على المطرفية ، ورقة ٧٣ أ ، أحمد بن سليمان ، الهاشمية ، ورقة ١٥١ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٢٥ .

ربما كانت هذه أهم ملامح مذهب المطرفية وإن كانت التفاصيل كثيرة ومتنوعة ومتناقضة مع ما يدعوا إليه علماء الزيدية المخترعة فعلى سبيل المثال تقول المطرفية أن الأمطار تحدث من البخار الذى تصعد به الرياح إلى الهواء فيتفاعل مع رطوبات الجو (١) . وهذا خلاف ما تقول به الزيدية بأن الله هو الذى يتولى إنزال الأمطار (٢) . وقول الزيدية بأن البرد ينزل من السماء " من حبال فيها من برد " (٣) . وحدث ونزل بقدره الله . بينما تقول المطرفية أن سبب نزول البرد هو التقاء الهواء المحمل بالماء بالرياح الباردة فتحيله بردا (٤) . أما الشفاء من الأمراض فترى الزيدية أنه من الله ، بينما تقول المطرفية أن الشفاء يحدث نتيجة لتناول الدواء (٥) .

وهكذا قام معلمو المذهب المطرفى بنشاط علمى كبير داخل هجرهم وخارجها لنشر مذهبهم فى اليمن ، وما أن حل القرن السادس الهجرى إلا وكان مذهب المطرفية قد مثل تهديدا خطيرا للزيدية المخترعة ، وزاد من تفاقم المشكلة عجز علماء المخترعة عن التصدى لعلماء المطرفية فقاموا بالاستعانة ببعض علماء مذهبهم من خارج اليمن ، فقدم الفقيه العالم زيد بن الحسن بن على الخراسانى (٦) للرد على المطرفية فاجتمعوا إليه ألوفا ، ورجع كثير منهم عن مذهبهم بين يديه (٧) . وكانت لهذا العالم شهرة كبيرة فى اليمن إذ تتلمذ عليه كثير من علماء اليمن منهم الإمام أحمد بن سليمان (٨) . والقاضى جعفر بن

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٧٤ ، جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٠ أ ، عبد الله بن جمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٥ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٤٥ .

(٢) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٠ أ ، عبد الله بن جمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٥ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٤ .

(٣) سورة ، النور ، آية ٤٣ .

(٤) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٥ ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٤٦ .

(٥) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٣٣ .

(٦) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان ، نسخة مصورة من مكتبة الدكتور رضوان السيد عن نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير ، ص ١١٣ ، حميد المحلى ، الخدائق الوردية ، ح ٢ ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٥٩ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢١ .

(٧) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٣٩ ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٣٦

(٨) حميد المحلى ، الخدائق الوردية ، ح ٢ ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة

عبد السلام الذى كان على مذهب التطريف ثم رجع إلى الاختراع (١) . وعزم القاضى جعفر على مصاحبة الفقيه زيد فى طريق عودته إلى العراق للأخذ عن علمائها من الزيدية والمعتزلة ، فتوفى الفقيه زيد فى الطريق وتابع القاضى جعفر رحلته فدرس على علماء العراق ، وجمع كتب الزيدية والمعتزلة وعاد بها إلى اليمن ليحتج بها على المطرفية وينظرهم فى مذاهبهم (٢) . فكان يقال عن القاضى جعفر أنه سار إلى العراق " وهو أعلم أهل اليمن ، ورجع وهو أعلم أهل العراق " (٣) . وكانت عودة القاضى جعفر نقطة تحول فى تاريخ اليمن الثقافى بصفة عامة وفى بداية انحسار المد المطرفى بصفة خاصة . فقد تصدى القاضى جعفر للتدريس والوعظ والمناظرة بسناع ، وفشل المطرفية فى صرف الناس عنه ، كما التف حوله الكثير من العلماء الذين أخذوا العلم عنه وصاروا يمثلون مدرسة قائمة بذاتها ، ويفرد ويترجم لهم على أنهم من تلامذة القاضى جعفر ، وهم الذين صاروا علماء الزيدية المخترعة . وفى عهده أيضا نقرأ كثيرا عن علماء المخترعة الذين كانوا على التطريف ثم عادوا إلى الاختراع (٤) .

المطرفية والأمامة :

وإذا كانت الخلافات المذهبية من السمات المميزة لليمن فى العصور الوسطى ، فقد ظلت المطرفية بعيدة عن المشاكل السياسية ، وساعدها على ذلك توقف دولة الأئمة وتعطلها إلى أن قام الإمام المتوكل أحمد بن سليمان سنة ٥٣٢ هـ . ومع ذلك فإن المطرفية لم يعلنوا معارضتهم للإمام ، كما أنهم لم يرحبوا بقيامه . ولكن الذى غير موقفهم السلبي هذا هو قيام حاتم بن أحمد الياضى صاحب صنعاء باغتيال محمد بن عليان بن سعد فاجتمع بسبب ذلك فريقا الزيدية وباعوا الإمام أحمد بن سليمان وسألوه النهوض معهم إلى اليمن فوافقهم الإمام لرغبته فى الأخذ بثأر الشيخ محمد بن عليان (٥) .

- (١) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ .
- (٢) انظر ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ج ١ ورقة ٦٤ .
- (٣) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ .
- (٤) سليمان بن يحيى ، سيرة الروام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، يحيى بن الحسين ، ج ١ ورقة ٦٥ - ٦٨ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- (٥) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ج ١ ورقة ٤٤ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٠ .

ولكن هذا التوافق والتحالف بين المطرفية والإمام أحمد بن سليمان لم يستمر طويلا ،
فسرعان ما تنكر المطرفية للإمام ، ورجعوا عن بيعتهم ، فصمم الإمام على قتالهم
فتراجعوا وطلبوا الصفح . فقبل منهم ، ودخل الإمام وقش وأحل بها القاضى جعفر (١) .

ويرجع سبب تنكر المطرفية للإمام أحمد بن سليمان إلى تشددهم فى أمر الإمامة والشروط
الواجب توافرها فى الإمام يقول ابن الوزير " وقد كانت المطرفية لسعة علومهم وصلابة
تدينهم وصبرهم على العبادة والقيام والصيام ، يحتقرون معارف غيرهم ويقع من بعضهم
إعجاب بالتبحر فى العلوم ، وللعلم طغيان كطغيان المال " (٢) . غير أن حدة العداء
للمطرفية خفت بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦ هـ ، والقاضى جعفر بن عبد
السلام سنة ٥٧٣ هـ ، مما أعطى الفرصة من جديد لازدهار مذهب المطرفية وانتشاره
خاصة فى عهد الأيوبيين الأوائل فى اليمن .

وبعد قيام الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣ هـ علامة بارزة فى تاريخ المطرفية .
فبعد أن تمكن من إحياء دولة الزيدية واحراز بعض التفوق غى الأيوبيين ، توافدت عليه
المطرفية ، واجتمع مشايخهم بالإمام وعلنوا مبايعتهم للإمام واعترفهم باستحقاقه الخلافة
والزعامة . ومن الملفت للنظر أن الإمام قد رحب بهم وعينهم ولاية على الأقاليم " وتوجه
كل منهم عن أمر الإمام لنفاذ الأوامر الإمامية والتأهل لوقت الحاجة ، وإقامة الجمعة فى
هجرهم والقيام بالمعروف والنهى عن المنكر وتجهيش الجيوش إلى ثغور الجهاد " (٣) . وهذا
يعنى أن المطرفية خرجوا عن نمط حياتهم الذى اعتادوه لقرنين من الزمان ، فبدأوا يعملون
بالسياسة وجباية الأموال واعداد الجيوش ، وهى أمور لم يتعودوها . ويبدو أنهم قد
اخفقوا فى تنفيذ ما كلفوا به ، وأهملوه ، وانصرفوا إلى ما اعتادوا عليه من عقد المجمع
العلمية ، خاصة المجلس العام الذى يعقد فى وقش مرة كل عام للدراسة والمناظرة (٤) .

(١) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٥ ، انظر يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٥٦ .

(٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، تحقيق عبد الغنى محمود عبد العاطى ، دمشق ، ح ٢

ص ٧١ ، الجزء الثانى من المخطوط ، نسخة على ميكروفيلم بمكتبة جامعة صنعاء عن النسخة

الموجودة بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقة E 52 ، ورقة ٢٥ .

(٤) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٢ ص ١٤٧ ، المخطوط ، ورقة ٥٨ .

فقام الإمام بعزلهم عن الولاية ومنع عنهم أموال الزكاة ، فضاعت عليهم الأحوال ، فتشاؤروا ، واجتمع رأيهم على إقامة الأمير المنتصر بالله محمد بن مفضل - المعروف بالعفيف - محتسبا ليدافع عنهم ويأبىءه على ذلك (١) . وظلت العلاقة بين المطرفية والإمام قائمة دون توتر وذلك بفضل الأمير العفيف ومكانته عند الإمام . ولم تزل بينهم المجاملة والمبايعة على الرغم من محاولات أصحاب الإمام للوقيعة بينهم . فلما مات الأمير العفيف فى شهر صفر من سنة ستمائة ، وتولى الدفاع عن المطرفية إبن أخيه الأميران يحيى بن منصور ومحمد بن منصور ولم يكن بينهما وبين الإمام من المودة والألفة التى كانت لعمهما ، تغيرت العلاقة بين الإمام والمطرفية ولم يعد يقبل وساطة الأميرين فى الدفاع عن المطرفية (٢) .

الهجوم على المطرفية :

بدأت العلاقة في التوتر بين المطرفية والإمام عبد الله بن حمزة عندما حضر أحد المطرفية الدرس في المدرسة المنصورية في ذممر (٣). وجرى الكلام عن المطرفية والتعريض بهم ويمذهبهم . فعاد الرجل إلى هجرة وقش وبث شكواه إلى إخوانه . فقام الفقيه على بن يحيى البهيري شيخ المطرفية بوقش بكتابة رسالة مديح وعتاب إلى الإمام عما حدث بزممر ، طالبا اللقاء للمناقشة (٤) . وهكذا بدأ الاستعداد من جانب المطرفية لعقد المناظرات والمناقشات حول معتقدات المذهب . ويبدو أن الإمام عبد الله بن حمزة كان يميل هو الآخر لمعالجة مسائل الخلاف بأسلوب هادئ ، فرد على دعوة المطرفية برسالة ، وطلب أن يأتوا إليه في جماعة من أهل العلم ، والعقل ، والإنصاف . فان كانوا على

(١) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨ ، المخطوط ، ورقة ٥٨ - ٥٩ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٢) ابن الوزير ، تاريخ بني الوزير ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) ذمرمر أو ذي مرمر ، حصن في أعلى قرية شبام الغراس على بعد ١٨ كم شمال شرقي صنعاء .

| | | | | |
|-------------|-----|----|----|---------|
| وتقع ما بين | ٠.٥ | ٣١ | ١٥ | شمالا . |
| | ١٤ | ١٩ | ٤٤ | شرقا . |

الهمداني الاكليل ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، خريطة ج.ع.ي ١٠: ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A4 .

(٤) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورة ، ح ٣ ص ٦٠٣ - ٦٠٧ الجزء الثالث من المخطوط

بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ، رقم ١١٨ تاريخ وتراجم ، ورقة ١٤ - ١٥ .

بصيرة إزدادوا يقينا ، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدين أولى من رجوع إلى الصواب (١) .

ومن الملفت للنظر أنه على الرغم من استعداد الفريقين للمناقشة والمناظرة إلا أن مؤلف سيرة الإمام عبد الله بن حمزة وهو المصدر الوحيد الذى تحدث عن علاقة الإمام بالمطرفية يذكر أن المطرفية تراجعوا عن المناظرة وأنهم تعللوا بخوفهم من سطوة الإمام . وتارة أخرى يذكر أن علماء المطرفية قد استعدوا للمناظرة وعينوا ذمرمر أو ثلا (٢) لتكون مكانا لها ، وقاموا بإعلان ذلك على العامة فى المسجد ولكن الإمام هو الذى اعتذز هذه المرة وطلب منهم أن تكون المناظرة بمدينة صعدة (٣) . وهكذا أخذ الفريقان يتخاذلان ويتباطآن عن المناظرة ويتهم كل منهما الآخر بالتهرب والخوف . وعندما إزداد تحديدهم للإمام ، وتأكد له صعوبة الوصول إلى اتفاق معهم ، ترك سياسة المهادنة ، ولجأ إلى استخدام العنف والبطش والنفى للقضاء عليهم وعلى مذهبهم . وقد استغل الإمام عقد الهدنة بينه وبين الأيوبيين فى أواخر سنة ٦٠٢ هـ للتفرغ لعلاج مشكلة المطرفية . وفى أثناء ذلك أبلغه أحد المخترعة أنه ناظر رجلا من المطرفية بقربة ثريان من أوطان سفيان (٤) فى المفاضلة فانتهى الأمر إلى أن قال المطرفى : أن الله تعالى ساوى بين النبى

- (١) أبو فراس بن دعثم، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ٦٠٩ - ٦١٤ ، المخطوط ، ورقة ١٥ - ١٦ .
(٢) ثلا بالضم ، تقع على ارتفاع ٢٤٠٠ متر على مسافة عشرة كيلو مترات جنوب غرب مدينة عمران وتقع ما بين : ٣٢ ٣٩ ١٥ شمالا .
٤ ٥٤ ٤٣ شرقا .

- خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ صفحة B4 1543 ، الويسى ، اليمن الكبرى ، ص ٦٥ .
(٣) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ٦١٥ - ٦٢٣ ، المخطوط ، ورقة ١٦ - ١٨ .
وصعدة بفتح وسكون ، عاصمة لواء صعدة فى شمال اليمن وتقع ما بين :
٤٥ ٤٦ ١٦ شمالا .
٥ ٤٥ ٤٣ شرقا .

The yemen Arab Republic and Neighbouring Areas, 1: 250000, sheet, 1.

الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٦ - ١٢٤ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ٣ ص ٤٦٧ - ٤٨٠ .

(٤) سفيان قبيلة من قبائل بكيل ، وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام . ولهم بلاد واسعة سميت باسم القبيلة تعرف بحرف سفيان .

الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ٢ ص ٤٢٤ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ص ٣٢٤ .

واليهودى وما اختص نبيه بفضل ولا اجتباه لرسالة ، فأمر الإمام فى الحال جماعة من الشرفاء فأحضروه إلى ساحة القرية وضرب أحدهم عنقه (١) . فعظم الأمر عند المطرفية واضطربت أحوالهم وأعلنوا قولهم بالسب على الإمام . وتبارى شعراء المطرفية والمختترعة فى الهجاء وتفنيد المعتقدات المذهبية . وما زاد الموقف تأزما واشعالا لنار العداوة بين الفريقين أن الإمام أمر بقتل رجل آخر شهد عليه الشهود بأنه مطرفى . فلما بلغ ذلك المطرفية اشتد جزعهم وعشوا الرسل إلى القبائل والمدن وأشاعوا أن الإمام إنما قتل الرجل بسبب تفوق الرجل واستظهاره على الإمام فى المناظرة . واجتمع المطرفية للتشاور فاستقر رأيهم على طلب المساعدة من السلطات الأيوبية فى صنعاء وبدأوا فى جمع الأموال للاستعانة بها على حرب الإمام (٢) . يقول مؤلف السيرة أن الإمام لما تمكن من قتل المطرفية قال : " أريد أن أجعلها سنة باقية يعمل بها من قام ودعا من أهل البيت فيما بعد " (٣) .

وعندما تكررت حوادث القتل للمطرفية اجتمعوا لتنظيم شئونهم استعدادا لمواجهة الإمام فاختراروا الشريف يحيى بن منصور من ولد الهادى وبإيعوه ونصبوه إماما . ثم اجتمعوا فى ذمرمر فأعلن السلطان بشر بن حاتم الياضى تأييده لهم (٤) . وأعلن المطرفية أنهم جاءوا لمناظرة الإمام فى الموعد الذى حدده لهم فى ثلا وأنه إن لم يناظرهم فى هذا اليوم سقطت الإمامة . وكتبوا إلى سائر المطرفية للتجمع فى هذا اليوم ، وأرسلوا إلى مشايخ ثلا يطلبون منهم تأمينهم وحمايتهم . لكن الإمام اعتذر عن المناظرة مرة أخرى (٥) ، مما أضعف من موقفه ، وزعزع ثقة الزيدية فيه ، مما دعا الأميرين يحيى ومحمد شيخى آل الرسول بصعدة إلى إرسال الكتب لباقى الشرفاء يخبروهم بأنهما لازالا على طاعة الإمام (٦) . وأنهما يؤيدان حكم الإمام على المطرفية بحكم أهل الشوكة من

(١) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ٩٩٠ - ٩٩١ ، المخطوط ، ورقة ٨٨ .

(٢) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠١٠ ، المخطوط ، ورقة ٩٢ .

(٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٢٢ ، المخطوط ، ورقة ٩٥ .

(٤) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٢٣ - ١٠٢٤ ، المخطوط ورقة ٩٥ .

(٥) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٢٥ - ١٠٣٣ ، المخطوط ورقة ٩٥ - ٩٦ .

(٦) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٣٦ ، المخطوط ورقة ٩٧ .

المرتدين (١) . كذلك أنشأ الإمام رسالة عامة إلى كافة الناس صرح فيها بكفر المطرفية وردتهم ، فنشرت وقرئت فى المجمع والأسواق مع المقصورة التى أنشأها فى أمر المطرفية وشرح فيها جميع جوانب مذهبهم (٢) . وقد أثر ذلك على مكانة المطرفية ووضعهم فى المجتمع إذ بدأ الناس ينفرون منهم وينظرون إليهم على أنهم كفرة مرتدين ، فساء حالهم وصار البعض ينكر إلتصافه إلى المذهب ، بل وصل الأمر أنه إذا أراد الواحد منهم دخول بعض الأسواق أن يجد له ذمة أو جوار (٣) . ثم إزدادت حالتهم سوءا ، ورجال الإمام يواصلون مطاردتهم فى كل مكان حتى تم طردهم من كثير من البلاد مثل حجة (٤) وأدران (٥) وميتك (٦) وغيرها (٧) . ومع ذلك بقيت لهم بعض المناطق فى شرف البياض (٨) وبلاد حجور (٩)

-
- (١) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٤١ ، المخطوط ، ورقة ٩٨ .
 (٢) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٤٣ ، المخطوط ، ورقة ٩٩ .
 (٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٧٦ - ١٠٧٧ ، المخطوط ، ورقة ١٠٥ .
 (٤) حجة بفتح الحاء وتشديد الجيم ، عاصمة محافظة حجة ، وهى فى الشمال الغربى لصنعاء على مسافة ١٢٧ كم وتقع ما بين :
 ٣٨ ٤١ ١٥ شمالا .
 ٢٤ ٣٦ ٤٣ شرقا .
 الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، المتحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١٧٠ ، خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة B3 1543 .
 (٥) أدران وهو ما يسمى الآن دروان : محل من قرية قدم عزلة قدم حجة ، من توابع مدينة حجة .
 الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥ ، ح ٢ نفس الصفحة ، المتحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٣ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة حجة ، ص ١٤ .
 (٦) ميتك وتسمى أيضا موتك بفتح الميم وسكون الواو ثم تاء مثناه . وهو ما يسمى اليوم عقار فى الشمال الشرقى من حجة . الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ .
 (٧) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٧٧ ، المخطوط ، ورقة ١٠٥ .
 (٨) البياض الأعلى والبياض الأسفل : قريتان من عزلة مسور ، ناحية خولان الطيال . والبياض قرية من عزلة الربع ناحية همدان ، والبياض من قرى مخلاف قدم والجبر والشرف هو المكان المرتفع .
 التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ح ٢ ص ٢٧٣ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح ١ ص ٢٥ ، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ .
 (٩) حجور بلد واسع من همدان سمي باسم حجور بن أسلم وتقع هذه البلاد داخل محافظة حجة .
 الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

ومسور (١) والبلاد الحميرية حيث هجرة قاعة التي كان للمطرفية فيها شوكة ونفوذ . فكتب الإمام إلى أخيه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بمضايقة أهل هجرة قاعة وقتل من أمكنه منهم . فقطع الأمير موادهم وأخافهم فى طرقاتهم وحول هجرتهم حتى سألوه أن يجعل لهم حداً لأمانهم فمن تعداه فلا أمان له (٢) . فلما اشتدت وطأة الأمير عليهم ، بعثوا رسولا إلى إخوانهم فى هجرة وقش فدخل المسجد عليهم وهم مجتمعون ، فكسر عصاه ، ومزق جرابه وطلب منهم أن يدركوا إخوانهم ، وأخبرهم أن الأمير عماد الدين قد صالحهم على وضع الزنار ليكون علامة لهم . فنهض المطرفية من هجرهم متوجهين إلى ثلا وأعلنوا للعامة أنهم يريدون مناظرة الإمام (٣) . لكن مفاوضاتهم مع الأمير عماد الدين فشلت فى تحديد موعد أو مكان الاجتماع (٤) . وظلت العلاقة على توترها وتأزمها ، وقام المطرفية من جديد باتهام الإمام بالتخاذل والخوف من المناظرة ، وأشاعوا ذلك بين الناس . أخيرا قرر الإمام القيام بعمل حاسم ضد المطرفية فنهض بقواته إلى قرية مدع (٥) فحط بجانب البلد من شرقها فى الثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة ، فاجتمع إليه أهل مدع فوعظهم وبين لهم خطأ المطرفية وإثبات ردتهم وكفرهم . فدخل كثير منهم فى طاعة الإمام وطلبوا مهلة لإحضار المطرفية من هجرة قاعة لمناظرته . فأمتنع المطرفية عن المناظرة (٦)

- (١) مسور : إحدى نواحي قضاء صنعاء ، وفى شمالها سلسلة جبال مسور وقرية مسور . وتقع هذه الناحية ما بين ناحيتي ثلا وبنى العوام . ومسور واد وعزلة من بلاد خولان الطيال .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح ١ ص ١٤٥ - ١٦٠ ، الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، ح ٤ ص ٧٠٨ ، خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة B3 1543 .
(٢) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٨٢ ، المخطوط ، ورقة ١٠٦ .
(٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٩١ - ١٠٩٢ ، المخطوط ، ورقة ١٠٨ .
(٤) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٠٩٦ - ١٠٩٧ ، المخطوط ، ورقة ١٠٩ .
(٥) مدع بضم الميم وتكتب أحيانا مداع ، قرية من عزلة المصانع ناحية ثلا ، على بعد ٤ كم جنوب غرب هجرة قاعة . وتقع ما بين : ٢٠° ٣٧' ١٥" شمالا .
١٥ ٤٧ ٤٣ شرقا .
التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ح ١ ص ٢٠٥ ، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ، خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة B4 1543 .
(٦) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٨٢ - ١١٨٥ ، المخطوط ، ورقة ١٢٦ .

فأرسل الإمام أحد علماء المخترعة إلى هجرة قاعة وأمهل المطرفية ثلاثة أيام وكتب لهم عهداً بذلك واشترط فيه إباحة دمائهم ، وأخذ أموالهم بعد انقضاء هذا الأجل إن أبوا الدخول فى الاسلام (١) . وفى مسجد هجرة قاعة اجتمع المطرفية بمبعوث الإمام وتم مناقشة أوجه الخلاف ، فأعلنوا الموافقة فى كافة المسائل ولم يبق بينهم منازعة سوى فى مسألة واحدة وهى قولهم أن فعل العبد لا يعدوه ولا يوجد فى غيره لظنهم أنهم لا يكفرون بالالتزام فى هذه المسألة وبقي منهم جماعة متمردة لم تحضر المناظرة ولم تشترك فى البيعة (٢) . فأمر الإمام شقيقه الأمير عماد الدين فى جماعة من مشايخ حمير ليكونوا شهوداً على المطرفية . فدخل القرية ليلاً ، فلما أصبح ، جمعهم وقد هرب بعض مشايخهم . فعرض عليهم المناظرة فاعترفوا بالعجز والتقصير ، وأعادوا اجماعهم فى مسائل الخلاف ، فعرض عليهم الإسلام والخروج من الكفر والبراءة من مذهب المطرفية فدخلوا فى الإسلام باللفظ وأعلنوا لعنهم لكبار المطرفية (٣) . ودخل الإمام عبد الله بن حمزة هجرة قاعة فأنشأ المدرسة المنصورية بالهجرة لتدريس علوم المخترعة . وضم ممتلكات المطرفية الذين تركوا الهجرة إلى بيت المال . واستوهب الفقيه بهاء الدين على بن أحمد الأكوع مسجد الهجرة الجامع فوهبه له وقبضه وسبله وجعله مسجداً تقام فيه الجمعة (٤) ولما استقرت الأمور بهجرة قاعة أقبل أهالى الهجر المجاورة يعلنون الدخول فى الطاعة والبراءة من دين المطرفية (٥) ثم تقدم الإمام عبد الله بن حمزة إلى بيت علما (٦) للقاء سلاطين مسور ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وكان فى بلادهم أعداد كثيرة من المطرفية فبين لهم الإمام خطأ هذه الفرقة وكفرهم وردتهم . ثم تدخل السلطان اسماعيل بن الأمير وهو مقدمهم فى المذهب فسأل الأمان لشيخهم الفضلى وتقديمه للمناظرة فمن كان معه الحق رجع الكل إليه ، فعقد الإمام الأمان له لمدة يومين فإن لم يصل فيهما فلا أمان له ،

(١) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٨٥ - ١١٨٦ ، المخطوط ، ورقة ١٢٧ .

(٢) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٨٦ ، المخطوط ، ورقة ١٢٧ .

(٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٨٧ ، المخطوط ، ورقة ١٢٧ .

(٤) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٨٨ ، المخطوط ، ورقة ١٢٧ .

(٥) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٩١ ، المخطوط ، ورقة ١٢٨ .

(٦) بيت علما قرية من عزلة المصانع الخارجية ناحية ثلا .

التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح ١ ص ٢٠٥ .

فلم يصل (١) . ثم تقدم الإمام لتفقد حصن بكر (٢) ، فاضطربت أحوال المطرفية فى تلك النواحي وكان لهم شيخ أعمى من دعاة المطرفية يعمل على نشر المذهب بقوة وعزيمة ، وينتقل من هجرة إلى أخرى رغم مراقبة رجال الإمام للطرق والدروب . فجاء إلى الإمام عبد الله بن حمزة جماعة من أهل الناحية يطلبون الأمان لهذا الشيخ الأعمى فلم يقبل الإمام وأمر رجاله بضرورة إحضاره ، فأمسكوا به بعد مشقة وتستر من أهل الهجر ، فأمر الإمام بضرب عنقه (٣) . ولما قتل أقبلت المطرفية من هجرها ودخلوا فى المذهب .

وجاء كتاب المطرفية بهجرة وقش يذكرون فيه اعتقادهم وهونفس مذهب واعتقاد المخترعة (٤) . ثم انتقل الإمام عبد الله بن حمزة بعد ذلك إلى قرية بيت الأبر (٥) من أوطان حمير ، فقدم إليه المشايخ أهل ثلا فى جماعة من المطرفية الذين بهجرة عين (٦) وفيهم عالم المطرفية أبو وهان لمناظرة الإمام فأورد مسائل الخلاف التى بين المخترعة والمطرفية . والإمام يرد على كل مسألة على حدة فيظهر أبا وهان قبول الحجة .

فلما انقضى المجلس دعاهم الإمام إلى البيعة فاعتذر أبو وهان وطلب المهلة للتبصر والنظر (٧) فى حين بايع أصحابه فأعطى الإمام كل واحد منهم أمانا فى رقعة تكون معه أينما توجه خوف القتل والأخذ وذلك بسبب ما أعلن فى البلاد والنواحي من إباحة سفك دمائهم وأخذ أموالهم ، فاضطروا إلى أخذ الرقاع فى كل ناحية (٨) . وكانت آخر مناظرات الإمام عبد الله بن حمزة مع أحمد بن سعيد الفضيل وهو من كبار علماء المطرفية (٩) .

(١) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٩٢ ، المخطوط ، ورقة ١٢٨ .

(٢) بكر على بعد ١٢ كم جنوب قرية قاعة

خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة ، 1543 B4 .

(٣) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٩٤ ، المخطوط ، ورقة ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١١٩٥ ، المخطوط ، ورقة ١٢٩ .

(٥) بيت الأبر قرية من عزلة بنى العباس ، ناحية ثلا ، وتقع على بعد ٣ كم جنوب مدع .

التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، ح ٢ ص ٢٥٨ ، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ، خريطة

ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543 B4 .

(٦) العين قرية من عزلة الخبيس ناحية ثلا ، وتبعد حوالى ٣ كم إلى الشمال من ثلا . التعداد السكانى

التعاونى لمحافظة صنعاء ، ح ١ ص ٢٠٤ ، خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة ، 1543 B4 .

(٧) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٢٠١ ، المخطوط ، ورقة ١٣٠ .

(٨) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٢٠٢ ، المخطوط ، ورقة ١٣١ .

(٩) أبو فراس بن دعثم ، السيرة المنصورية ، ح ٣ ص ١٢٠٤ ، المخطوط ، ورقة ١٣١ .

ومن الغريب أن يتهاوى علماء المطرفية فى المناظرات التى عقدها مع الإمام بتلك السرعة . ذلك أن تخليهم عن معتقدات مذهبهم وهم المشهور عنهم السعة والتبحر فى العلوم أمر يثير الحيرة . ومن ثم فإننا أمام أحد احتمالين ، الأول أن تكون هذه المناظرات قد تمت تحت تهديد السلاح وهذا هو الاحتمال المرجح . والثانى أن يكون أبو فراس بن دعشم قد بالغ فى وصف انتصار الإمام عبد الله بن حمزة وغلبته فى هذه المناظرات . وهذا متوقع أيضا وذلك لما عرف عن أبى فراس تحامله الشديد على المطرفية وشدة كراهيته لهم .

على أية حال يبدو أن الأمور قد هدأت نسبيا وتحسنت العلاقة بين الإمام والمطرفية فترة من الوقت . ولكن يجب الأخذ فى الاعتبار أن الجزء الرابع من كتاب السيرة المنصورية مفقود وهو المصدر الوحيد الذى عنى بإبراز العلاقة بين الإمام والمطرفية . أما باقى المصادر التاريخية فإنها ظلت صامته حتى سنة ٦١٠ هـ عندما ذكر يحيى بن الحسين دون تمهيد سابق بأنه قام رجل يسمى محمد بن منصور بن مفضل مع المطرفية أهل وقش وأنكر على الإمام ما وقع منه من تكفيرهم (١) . وهذا يعنى أن الاجراءات التى اتخذها الإمام عبد الله بن حمزة فى سنة ٦٠٣ هـ لم تكن كافية للنيل من المطرفية من الناحية الفكرية والعقائدية ولا من الناحية العسكرية والسياسة ، لأنهم قد عادوا من جديد لتحدى الإمام ، كما قاموا بمهاجمة بعض حصونه (٢) . وفى هذه المرة ترك الإمام سياسة الحوار والمناظرة وكلف أخاه يحيى بن حمزة بالتوجه إلى بنى الفليحي (٣) غربى مدع فقتلهم وسباهم وأرعب قلوب أهل تلك الجهة (٤) . ويقال أن بالقرب من بنى الفليحي مقبرة عظيمة يعتقد أنها مقبرة المطرفية الذين قتلهم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة (٥) . ويبدو أن العمل العسكرى كان حاسما وأراد الإمام عبد الله بن حمزة أن ينهى هذه المشكلة فأمر بهدم مسجد المطرفية فى سناع وهدم هجرة وقش ، دورها ومساجدها ،

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ح-١ ص ٣٩٧ ، أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ، مخطوط رقم ٢١٤٦ ، مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير ، ورقة ٧٠ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ح-١ ص ٣٩٧ ، أنباء الزمن ، ورقة ٧٠ .

(٣) تقع بنى الفليحي على بعد ٢ كم غربى مدع .

خريطة ج . ع . ي . ١ : ٥٠٠٠ ، صفحة ، 1543 B4 .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ح-١ ص ٣٩٨ ، أنباء الزمن ، ورقة ٧٠ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ح-١ ص ٣٩٨ ، أنباء الزمن ، ورقة ٧٠ .

وخرج أهلها إلى بلاد آنس وخولان وذهبوا كل مذهب (١) .

ويبدو أن ما ذكره يحيى بن الحسين لم يكن إلا إشارة بسيطة عما فعله الإمام بالمطرفية . ومن الواضح أن الإمام كان عنيفا وصارما مع المطرفية خاصة فى المناطق الغربية من صنعاء ، فى ثلا وضواحيها من البلاد الحميرية . ويتضح ذلك من آرائه وفتاويه لأن استخدام العنف فى حسم القضايا المذهبية لم يكن شائعا فى اليمن مما أثار الكثير من التساؤلات والانتقادات . فاضطر الإمام إلى إصدار رسالة أسماها " أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية " وهى عبارة عن إجابات عن كثير من الانتقادات والتساؤلات التى وصلت للإمام عبد الله بن حمزة بسبب قتله للمطرفية وسببه لأبنائهم ونسائهم ومصادرة ممتلكاتهم .

وكانت المجازر التى أوقعها الإمام عبد الله بن حمزة بالمطرفية وقتل كثير من زعمائهم سببا فى انحسار مذهبهم وضعف قوتهم فانصرف كثير منهم عن معتقداتهم وأعلنوا اعتناقهم للمذهب الذى ارتضاه الإمام . وبوفاة الإمام عبد الله بن حمزة فى سنة ٦١٤ هـ انحسرت موجة العنف التى ميزت فترة حكمه ، وأفسحت المجال أمام المناقشة والمجادلة التى تبناها بعض علماء المخترعة دون أن يكون ذلك بتكليف من السلطة الإمامية . ويبدو أن جهود هؤلاء العلماء قد حققت نتائج إيجابية . يقول أحد دعاة المخترعة - فى منتصف القرن السابع أنه قد صنف تصانيف كثيرة فى أصول الدين ثم قام بكتابة رسائل إلى المخالفين فرجع كثير منهم وجماعة وافرة من رؤساء المطرفية إلى مذهب العترة الزكية . والمطرفية أكثر من رجع إلى الحق وذلك لما كانوا عليه من الخوف لله (٢) . ثم يقول فى موضع آخر " لم يرجع فى زماننا هذا أحد من أهل البدع أحسن من رجوعهم ، وهدموا قبور آبائهم ، ونقضوا وصاياهم ، ونادوا فى سوق راحة بنى شريف بأنهم كانوا على مذاهب الكفر وأنهم رجعوا وتابوا " (٣) . وهذا يعنى أن مذهب المطرفية قد خرج من صراعه مع الإمام عبد الله بن حمزة فى حالة من الضعف والوهن ، فبدأ فى الخفوت والذبول ولم يأت منتصف القرن الثامن الهجرى إلا وكان المذهب المطرفى قد تلاشى تماما من اليمن (٤) .

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ح ١ ص ٤٠٠ ، أنباء الزمن ، ورقة ٧٠ .

(٢) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١ .

(٣) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٤ ، ورقة ١٣٦ .

(٤) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٤١ .

ولكن سيظل مسلك الإمام عبد الله بن حمزة تجاه المطرفية يثير الكثير من علامات الاستفهام . فهل كان الخلاف مذهبيا كما ادعى بذلك الإمام عبد الله بن حمزة والإمام أحمد بن سليمان أم أن الخلاف كان خلافا سياسيا ؟

لقد فُتد فقهاء المخترعة معتقدات المطرفية وقالوا إنهم خالفوا المسلمين في سبعين خصلة أخذوها عن أخبث الخصال في مذاهب القدرية والذهرية والمجبرة واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم . ومن ثم فإنهم حكموا عليهم بالخروج من ملة الإسلام فلا تحل مناكرتهم ولا ذبائهم ولا تقبل شهادتهم ولا يجوز دفع الزكاة ولا غيرها من حقوق الله سبحانه إلى أحد منهم . كذلك لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولا الصلاة على أحد من موتاهم . ويحكم فيهم بأحكام الكفار ويحكم في هجرهم وأماكنهم التي غلبوا عليها وحكموا فيها على ساكنيها باتباعهم في مذاهبهم بأحكام دار الحرب (١) .

ولما كان رأى فقهاء الزيدية المخترعة في المطرفية على هذا النحو ، كما أن المطرفية لم تكن دعوتهم سرية وإنما كانت دعوة علنية اعتمدت على المناقشات والمناظرات فإن معتقداتهم وأرائهم كانت واضحة وظاهرة . والمتتبع للعلاقة بين المطرفية والإمام أحمد بن سليمان ومن بعده الإمام عبد الله بن حمزة سيلمس أن المطرفية بايعوا الإمام أحمد بن سليمان وارتضى منهم ذلك إلى أن طعنوا في إمامته ورجعوا عن بيعته وعندئذ حكم بتكفيرهم وأعلن الحرب عليهم . يقول الإمام أحمد بن سليمان في إحدى رسائله عن رأى المطرفية في الإمامة " . . . قولهم أن الإمام يجب أن يكون أعلم الناس وأزهدهم وأشجعهم إلى غير ذلك من الصفات التي يسدون بها باب الإمامة على الناس " (٢) . وقوله أيضا " فمنها اعتراضهم على الإمام الحق وطعنهم في سيرته وطلبتهم أن يصير إلى رأيهم فإن امتنع من ذلك نكثوا بيعته وخرجوا عن طاعته وقد ظهر لنا ذلك منهم فيما بيننا وبينهم " (٣) . كذلك يوجه الاتهام إلى المطرفية بأنهم لا يرون حصر الإمامة في أهل

(١) جعفر بن عبد السلام ، رسالة في الرد على المطرفية ، ورقة ٧٤ ، أحمد بن سليمان ، الهاشمة لأنف الضلال ، ورقة ١٥٤ ، عبد الله بن حمزة ، الدرة البتية ، ورقة ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) أحمد بن سليمان ، الهاشمة لأنف الضلال ، ورقة ١٥١ - ١٥٢ ، أنظر جعفر بن عبد السلام ، رسالة في الرد على المطرفية ، ورقة ٧٣ أ .

(٣) أحمد بن سليمان ، الهاشمة لأنف الضلال ، ورقة ١٥٣ ، أنظر جعفر بن عبد السلام ، رسالة في الرد على المطرفية ، ورقة ٧٤ أ .

بينت النبوة (١) .

أما رأى المظرفية فى الإمامة كما جاء فى بعض كتبهم فإنهم يؤكدون أن الناس فى حاجة إلى إمام ، ويجب أن يكون الإمام أفضل الناس . والإمامة تنحصر فى ولد الحسن والحسين فيمن قام ودعا من أولادهما وهو جامع لخصال الأئمة (٢) . أما باقى الشروط التى من حصلت فيه استحق الإمامة بعد أن يكون ممن ينسب إلى الحسن والحسين فهى العلم والورع والفضل والشجاعة والسخاء والقوة على تدبير الأمر (٣) . فإذا اجتمعت فيه هذه الشروط فهو الإمام إذا ترسخ للقيام وباين الظالمين ودعا إلى سبيل رب العالمين . وهذا هو طريق ثبوت الإمامة (٤) . وهكذا يتضح أن المظرفية لم ينكروا حصر الإمامة فى أولاد الحسن والحسين . أما الشروط التى وضعوها فهى تقريبا نفس الشروط التى وضعها الإمام زيد .

على أية حال فهما كانت آراء المظرفية فى الإمامة ومهما كانت معتقدات مذهبهم فمن الثابت قبول الإمام أحمد بن سليمان لبيعتهم وأنه لم ينكر عليهم مذهبهم إلا بعد خلافهم معه . وكان من المفروض طالما أن آراءهم المذهبية لم تتغير كما لم يتغير مفهومهم عن الإمامة أن يتجنبهم الإمام عبد الله بن حمزة . ولكن بدلا من ذلك فإنه قبل بيعتهم وقام بتعيينهم حكاما وولاة على الأقاليم ، ولم يبدأ الإمام بالتبرؤ منهم وإعلان الحرب عليهم إلا بعد أن أنكروه . وإذا كانت غلبة الأئمة على المظرفية بسبب معتقداتهم المذهبية فإن أيا منهم لم يحاول الاصطدام بالحسينية أو يحكم بكفرهم وإباحة دمائهم مع أنهم كانوا " يصرحون بأقوال كفرية لا تأويل فيها " (٥) . وإذا كان الإمام عبد الله بن حمزة قد فشل فى جمع كلمة فرق الزيدية فى اليمن وإعادة الوحدة المذهبية للزيدية فإنه أخفق أيضا فى الحفاظ على الوحدة السياسية للمختزعة من الزيدية إذ بدأ الانقسام بتمرد الأمير يحيى

(١) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المظرفية ، ٦٩ أ ، عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ٧ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٨ ، التمييز بين الاسلام والمظرفية ، ورقة ١٣ .
(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢١٥ - ٢١٧ .
(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢٢٠ .
(٥) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٠٨ .

بن الإمام أحمد بن سليمان ولجونه إلى الأيوبيين (١). على أية حال فقد وقع الأمير يحيى فى أسر الإمام وتم اغتياله بعد محاولة فاشلة للهروب . وعلى الرغم من محاولة إبعاد التهمة عن الإمام عبد الله بن حمزة (٢) . وتأييد الإمام لهذا الإنكار فى إحدى رسائله حيث يقول " . . . فليست حميتنا تكون بأكد من حميتنا على ولد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام فلما قتله الحق قلنا أبعد الله ولو قدرنا عليه لقتلناه " (٣) . إلا أن الإمام يعترف فى إحدى رسائله بجواز قتل الأسرى ويعترف أيضا بمسئوليته عن مقتل الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ويعلل ذلك بقوله " فلما بان مكره بعد الأسر حل قتله واهلاكه على كل قول من أقوال أهل العلم ، ولأن الحرب قائمة بيننا وبين حزيه ، وقتل من تلك حاله جائز ما دامت الحرب قائمة " (٤) . وقد أكثر الناس إنكار هذا الفعل على الإمام عبد الله بن حمزة حتى قال القاضى محمد بن نشوان فى اعتراضاته : ومنها أنه قتل ابن إمامه وهو مفتن بشرا به وطعامه (٥) . فكان ذلك سببا لنفور كثير من أمراء آل الهادى وانصرافهم عن تأييد الإمام . وكتاب السيرة المنصورية به الكثير من الأمثلة عن خلاف الأمراء من بيت الهادى وتقديهم المساعدة للأيوبيين وتحريض الناس على التمرد والثورة ضد الإمام ، بل يتهم كتاب السيرة الكثير من الأمراء من آل القاسم باعتناق مذهب المطرفية . وهذا يرجع الاعتقاد بأن الصراع بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية إنما كان صراعا سياسيا بين الحمزيين من جهة والمنشقين من آل القاسم والهادى من جهة أخرى . ولما كان يصعب إعلان ذلك صراحة فقد لبس الصراع ثوب المذهبى يقول الإمام عبد الله بن حمزة فى إحدى رسائله " وكتبنا إلى أشرفهم الذين اقتدوا بهم فى الكفر وتابعوهم فى الغى بأنكم إن تماديتم فى مشايعة القوم وأظهرنا الله عليكم أنا نسفك

(١) بدر الدين محمد بن حاتم ، السط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سميث ، كمبردج ١٩٧٣ ، ص ٦٧ - ٦٨ ، محمد بن حمزة بن مظفر ، الترجمان المفتوح لشمرا

كثام البستان ، مخطوط رقم ٥٩ تاريخ وتراجم ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ورقة ٨٢ .

(٢) ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٩٢ ، عبد الغنى محمود عبد العاطى ، عوامل الصراع بين الأيوبيين والإمام عبد الله بن حمزة ، ص ١٨ .

(٣) أبو فراس بن دعشم ، السيرة المنصورية ، المخطوط ، ح ٣ ورقة ١١١ .

(٤) عبد الله بن حمزة ، أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية ، ورقة ٢٢٦ .

(٥) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٠٥ .

دماء كم ونسبى ذرارىكم وإن قربت أنسا بكم منا . . . قالوا تسبى بنات الهادى ؟ قلنا نعم نسيبهن لكفر أهلهن " (١) .

وقد استمر الصراع السياسى بين الحمزيين وآل الهادى زمنا طويلا لم ينس فيه آل الهادى ثأرهم ، حتى تحقق لهم ذلك عندما قاموا بقتل سبعة من الأشراف من بنى حمزة بالسم زمن الإمام الناصر (٧٧٣ - ٧٩٣ هـ) ولما استنكر الحمزيون ذلك قال أحد زعماء بنى الهادى : أمر وقع لم نشعر به وإن وقع فقد فعلنا فى أسراهم كما فعلوا فى أسيرنا يحيى بن أحمد بن سليمان (٢) .

خاتمة :

وبعد ، فقد سبق القول بأن مذهب المطرفية قد ظهر وتلاشى داخل اليمن دون أن يشغل جمهرة علماء المسلمين بمعتقداته . ولكنه أوجد مسألة للنقاش بين علماء الزيدية . فالبعض حكم بتكفيرهم وأجاز قتلهم وسبى نسايتهم وأولادهم . والبعض لم ير تكفيرهم بناء على رأى بعض الأئمة من أهل البيت وقول جمهور العلماء بأنه " لا يكفر بالالزام ولا يفسق " (٣) . لأن الكفر والفسق إنما يكونان لما يدين به المكلف قولاً وعملاً واعتقاداً لا ما ينكره ويتبرأ منه (٤) . والإلزام " هو أن تلزم الغير على ما تقول به مالا يقول به " (٥) .

ويبدو من هذا الانقسام أن مسألة تكفير المطرفية قد شغلت كثيرا من علماء اليمن فهذا الفقيه على بن عبد الله الصائدى يقول أنه وقف على كتب كثيرة من كتب المطرفية فيها خلاصة مذهبهم وتحقيق قواعد عقائدهم فلم يجد فيها شيئا من الموجبات لتكفيرهم ، وإنما اعتقادهم إعتقاد أبى القاسم البلخى (٦) . ويقول ابن الوزير : " إنهم يقولون بخلق العناصر الأربعة وبالاتفعال فيما عدا ذلك . وهذا هو عين مذهب أبى القاسم . وهو الذى

(١) عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٦٢ .

(٢) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٠٥ .

(٣) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٨ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ١٩٥ .

(٤) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٨ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٩٩ .

(٥) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٠٠ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ح ١ ورقة ٣٨ .

(٦) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ١٩٧ يحيى بن الحسين ، الطبقات ح ١ ورقة ٣٨ .

صح عنهم ووجد فى كتبهم ، وأما غير ذلك مما ينسب إليهم فلم يوجد فى كتبهم ولا اعترفوا بنسبته إليهم " (١) . بل يزيد البعض أن مقالة المطرفية هى مقالة النظام والجاحظ من المعتزلة (٢) .

على أية حال فإن الهدف من البحث ليس محاولة إثبات خطأ أو صواب معتقدات المطرفية لأن هذا بعيد عن الاختصاص وخارج عن نطاق البحث . ولكن هل ادعاء المطرفية بأنهم استمدوا معتقداتهم من فكر الإمام الهادى يحيى بن الحسين مؤسس دولة الزيدية فى اليمن إدعاء له ما يبرره ؟ أم أنهم قالوا بذلك فقط لتضليل عامة الزيدية ؟ .

لقد قام مذهب المطرفية على أساس أن للعالم أصولا هى الماء والهواء والرياح والنار ، وهذا الفكر يعتمد إلى حد كبير على فكر الإمام الهادى - المتأثر بالفلسفة اليونانية - الذى يقول بوجود أصول مادية لهذا العالم . يقول الإمام الهادى : " وإذا رجعتم إلى الأصول الثلاثة المبتدعة المفقورة من الريح الجارية المسخرة ، وما خلق سبحانه من الماء ، وفطر من عجيب الهواء ، ثم خلق من هذه الثلاثة الأشياء جميع ما درأ وبرأ " (٣) . كما يذهب المطرفية إلى القول بأن صفات الله هى ذاته ، وهذا هو قول الإمام يحيى بن الحسين والكثير من المعتزلة (٤) . ورأى المطرفية فى القرآن هو تقريبا رأى الإمام يحيى بن الحسين الذى يقول بمقالة المعتزلة بخلق القرآن ثم يعرف الوحي بأنه إلهام ، ويضرب عليه مثالا بالإلهام النحل فى سلوكها ، قال " وعندنا أنه (جبريل) يلهمه الملك الأعلى إلهاما ، فيكون ذلك الإلهام من الله إليه وحيا كما ألهم النحل ما تحتاج إليه وعرفها سبلها

(١) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ١٩٧ .

(٢) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ١ ورقة ٣٨ .

(٣) على محمد زيد ، معتزلة اليمن : دولة الهادى وفكره ، صنعاء ١٩٨٥ ، ص ٢١٥ .

أنظر : أبو زيد أحمد بن سهيل البلخى ، كتاب البدء والتأريخ ، باريس ١٨٩٩ ، ح ١ ص ١١٥ - ١٦٠ .

(٤) على محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ٢٣٤ - ٢٣٨ .

أنظر : البلخى ، البدء والتأريخ ، ح ١ ص ٨٣ - ٨٤ ، الشهرستانى ، الملل والنحل بهامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ح ١ ص ٥٧ ، محمد عبد الهادى أبو ريذة ، إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٨١ ، محمد عمارة ، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٥٢ .

..... فلما جاز أن يلهم النحل ما يحتاج إليه فيفهمه فكذلك فعل الله مع الملك ، يلهمه ما أراد إلهاما ويلقيه في فهمه إلقاء . وهذا التفسير لمعنى الوحي يقصد به تنزيه الله عن الكلام حتى مع الملك (١) . ومن المسائل التى أثارته الزيدية ضد المطرفية وأتهمهم بسببها بأنهم ينسبون الظلم إلى الله تعالى قولهم بجواز سبى أطفال المشركين مع أنهم لا ذنب لهم وهو نفس كلام الإمام الهادى (٢) . وآراء المطرفية فى الأرزاق تتوافق مع آراء المعتزلة على أساس أن الحرام ليس رزقا وكذلك يجب السعى فى طلب الرزق (٣) . وكذلك فى قضية الآجال خاصة فى قولهم بأن المقتول لو لم يقتل لجاز أن يعيش إلى وقت آخر (٤) . أما قول المطرفية فى أفعال العباد بأن فعل العبد لا يتعداه ولا يوجد فى غيره فقد وافقوا فى ذلك كثير من المعتزلة ولكن الخلاف بينهما يرجع إلى أن المطرفية ترى أن ما يقع خارج حيز الإنسان فانما يكون بالانفعال ، أما المعتزلة فتعتبره بالتولد (٥) . كما أن للمطرفية بعض الآراء البعيدة عن القبول خاصة فيما يقولونه فى النبوة والتى ربما قد تأثروا فيها بقول بعض المعتزلة مثل اسماعيل بن عبد الله الرعينى وكذلك قول الهشامية (٦) . ولعل هذا البحث يمهّد الطريق لاجراء المزيد من البحث والدراسة فى هذا الميدان .

(١) على محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ٢٤٢ .

(٢) على محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) عمارة ، المعتزلة ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ،

أنظر : القاضى عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٧٨٦ - ٧٨٨ .

(٤) عمارة ، المعتزلة ، ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٥) فيصل بدير عون ، فكرة الطبيعة فى الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٦٢ ،

أبوريدة ، إبراهيم بن سيار النظام ، ص ١٠٩ - ١١١ ، أحمد عبد الله عارف ، الصلة بين

الزيدية والمعتزلة ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٢٣٠ .

(٦) ابن حزم الظاهرى الأندلسى ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ح ٥ ص ١٥١ ، الشهرستانى

، الملل والنحل ، ح ١ ص ٧٩ .

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم أحمد المقحفى .
— معجم البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء ١٩٨٥ .
أحمد حسن شرف الدين .
— اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ .
أحمد بن سليمان بن محمد ابن الهادى يحيى بن الحسين .
— الهاشمية لأنف الضلال من المطر فية الجهال ، ورقة ١٥١ - ١٥٥ ، ضمن كتاب
العقيدة النبوية ، بالمخطوط or. 3828 بالمتحف البريطانى .
— الحكمة الدرية ص ١٥٠ - ٣٢٩ ، ضمن مجموع مصور بمكتبة الدكتور رضوان
السيد الأستاذ بجامعة صنعاء .
— حقائق المعرفة ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد .
أحمد عبد الله عارف .
— الصلة بين الزيدية والمعتزلة . بيروت ١٩٨٧ .
بدر الدين محمد بن حاتم .
— السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سميث ،
كمبردج ١٩٧٣ .
جعفر بن أحمد بن عبد السلام .
— رسالة فى الرد على المطرفية . ورقة ٦٣ - ٧٤ ، ضمن المخطوط رقم ٢١٥٣
بدار الكتب المصرية .
الجمهورية العربية اليمنية .
— خريطة الجمهورية العربية اليمنية ١ : ٥٠٠٠٠٠ ، صنعاء ، مصلحة المساحة

. ١٩٨٥

— خريطة الجمهورية العربية اليمنية ١ : ٥٠٠٠٠ ، المملكة المتحدة ١٩٧٩ -
١٩٨٨ .

الجهاز المركزى للتخطيط بالجمهورية العربية اليمنية .

— التوزيع السكانى ، صنعاء ١٩٧٨ .

— النتائج النهائية للتعداد السكانى التعاونى ، صنعاء ١٩٨١ .

— التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ .

ابن حزم الظاهرى الأندلسى .

— الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم الروضى .

— ذوب الذهب بمحاسن من شاهدت فى عصرى من أهل الأدب ، مخطوط رقم
١٠٥٦ ، معهد المخطوطات العربية .

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى .

— كتاب الإكليل ، ح ٨ تحقيق محمد بن على الأكرع ، دمشق ١٩٧٩ .

— صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكرع ، بيروت ١٩٨٣ .

حسين أحمد السياغى

— معالم الآثار اليمنية ، صنعاء ١٩٨٠ .

حسين بن على الويسى .

— اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ .

حميد بن أحمد المحلى .

— الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط مصور ، صنعاء ١٩٨٢ .

حميدان بن يحيى بن حميدان .

— تعريف التطريف ، ورقة ٨٣ - ٩٢ من مجموع رسائل السيد حميدان . نسخة مصورة بمكتبة الدكتور رضوان السيد .

أبو زيد أحمد بن سهيل البلخى .

— كتاب البدء والتأريخ ، باريس ١٨٩٩ .

أبو سعيد نشوان الحميرى .

— الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، بيروت ١٩٨٥ .

سليمان بن أحمد المحلى .

— البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق ، مخطوط رقم ٦٧٣ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء .

سليمان بن يحيى .

— سيرة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان . نسخة مصورة بمكتبة الدكتور رضوان السيد عن مخطوطة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء .

القاضى عبد الجبار بن أحمد .

— شرح الأصول الخمسة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، القاهرة ١٩٦٥ .

عبد الغنى محمود عبد العاطى .

— عوامل الصراع بين الأيوبيين والإمام عبد الله بن حمزة ، القاهرة ١٩٨٦ .

عبد الله بن حمزة .

— الرسالة الهادية بالأدلة البادية فى بيان أحكام أهل الردة ، ضمن المخطوط رقم

or. 3976 بالمتحف البريطانى .

— أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية ، ورقة ٢١٠ - ٢٣٤ ، ضمن المخطوط رقم or. 3976 بالمتحف البريطانى .

— العقيدة النبوية ، ورقة ٢ - ١١ ، ١٥١ - ١٥٦ ، ضمن المخطوط رقم

or. 3828 بالمتحف البريطانى .

— الدرة اليتيمة فى تبين أحكام السباء والغنيمة ، ورقة ١٦٩ - ٢٠٩ ضمن المخطوط رقم or. 3976 بالمتحف البريطانى .

عبد الله بن زيد العنسى .

— عقائد أهل البيت والرد على المطرفية مخطوط رقم ١٠٢٩٢ برلين .

— التمييز بين الاسلام والمطرفية الطغام ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد .

عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى .

— اليمن : الإنسان والحضارة ، القاهرة ١٩٧٢ .

أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى .

— الجامع لأحكام القرآن . القاهرة ١٩٨٧ .

على محمد زيد .

— معتزلة اليمن : دولة الهادى وفكره ، صنعاء ١٩٨٥ .

أبو فراس بن دعثم .

— السيرة المنصورية ، ح ٢ ، ٣ ، تحقيق عبد الغنى محمود عبد العاطى ، دمشق .

- السيرة المنصورية ، ح ٢ ، نسخة على ميكروفيلم بمكتبة جامعة صنعاء عن
النسخة الأصلية الموجودة بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقم E 52 .
- السيرة المنصورية ، ح ٣ ، مخطوط رقم ١١٨ تاريخ وتراجم ، المكتبة الغربية
بالجامع الكبير بصنعاء .

فيصل بدير عون .

- فكرة الطبيعة فى الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٠ .

محمد بن أحمد الحجرى .

- مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل الأكوع ، ١٩٨٤ .

محمد بن حمزة بن مظفر .

- الترجمان المفتوح لثمرات كمائم البستان ، مخطوط رقم ٥٩ تاريخ وتراجم بالمكتبة
الغربية بالجامع الكبير بصنعاء .

محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون .

- التحضر فى الوطن العربى ، القاهرة ١٩٧٨ .

محمد بن عبد الكريم الشهرستانى .

- الملل والنحل ، بهامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، القاهرة
١٣٤٨ هـ .

محمد عبد الهادى أبو ريدة .

- إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية ، القاهرة ١٩٤٦ .

محمد عمارة .

- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، القاهرة ١٩٨٨ .

محمد فؤاد عبد الباقي .

— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٨٧ .

مسلم بن جعفر اللحجى .

— أخبار الأئمة من أهل البيت ، الجزء الرابع ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة صنعاء .

مفرج الربعى .

— سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابنى جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد .

الهادى بن إبراهيم بن على الوزير .

— تاريخ بنى الوزير ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد .

— غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ .

— أبناء الزمن فى تاريخ اليمن ، مخطوط رقم ٢١٤٦٠ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء .

— الطبقات فى ذكر فضل العلماء ، نسخة مصورة بمكتبة جامعة صنعاء .

The Yemen Arab Republic and Neighbouring
Areas , 1 : 250000 , London , 1974 .